التأسيس المنهجي للخطاب التربوي وفق أسس علم الوقف والابتداء

ملخص البحث:

يمثل القرآن الكريم المصدر الرئيس للتربية الإسلامية، وتعد علومه أسساً ركيزة لإقامة قواعد منهج التربية الإنسانية متى ما أحسن التربويون إحكام الربط المنهجي للتربية بقواعد علوم القرآن الكريم، فلقد اعتنى علماء المسلمين بتفصيل هذه العلوم وأقروا لها قواعد تتصل بالتربية اتصالاً قوياً، إلا إن واقع التربية المعاصر مازال يفتقر لتقعيد قواعد منهجية لأركانها بإحكام الربط بين أسسها وأسس العلوم الشرعية، ومن بين أركان علم التربية: الخطاب التربوي، الذي يعد الوعاء الفكري للتربية الإسلامية فهو يُعبر عن غايتها وأهدافها، ويفصح عن تشريعاتها ويعالج قضاياها من منظور إسلامي، وبالرغم من مكانته وتأثيره القوي على الوسط التربوي، إلا أنه يصارع معركة البقاء وإمكانية الوفاء للتربية الإسلامية توجيهاً وسيادة لها في نفوس المتربين، ولقد كان هذا حاله نتيجة ضعف التأسيس المنهجي له وفق أسس الخطاب القرآني التربوي، محكم البيان، واضح البرهان، المعجز لفظاً ومعنى وتشريعاً، ولكي يحدث التمكن من التأسيس المنهجي للخطاب التربوي وفق أسس الخطاب القرآني؛ فإنه ينبغي استقاؤه من علوم القرآن الكريم التي تهتم بالقواعد المنهجية للخطاب القرآني، ولعل أشدها صلة بذلك علم الوقف والابتداء والذي عده العلماء المسلمون علماً من أهم أبواب علم التجويد والإتقان المعنوي واللفظي للقرآن الكريم، وعلماً لاستقامة اللسان المحقق لاستقامة الفهم للخطاب القرآني التربوي الوقائي التقويمي التنموي للإنسان. ولذلك توجه هدف البحث الحالي لاستنباط أبعاد التأسيس المنهجي للخطاب التربوي من أسس علم الوقف والابتداء.

الكلمات المفتاحية: علوم القرآن، الخطاب القرآني، الأسس.

Abstract

Systematic Establishment of Educational Discourse according to the Principles of Endowment and Start Science

Quran is the main source of Islamic education, and its science is the basis of establishing the rules of human education curriculum once the educators have improved the systematic linkage of education to the rules of Quran sciences. Muslim scholars have taken care of expanding these sciences and strongly approved the rules related to education. However, reality of contemporary education still lacks systematic rules to justify its foundations through linking them to the foundations of forensic science. Among the elements of pedagogy, there is the educational discourse, which is considered the intellectual pool for Islamic education, which expresses its purpose and objectives, exposes its legislation and addresses its issues from Islamic perspective. Despite the importance and the strong influence of the educational discourse on the educational society, it fights to survive and to meet Islamic education directions in the hearts of educated people. This case is a result of the weak systematic incorporation according to Quranic educational discourse foundations which is clear in its statement and miraculous in its words, meanings, and legislation. In order to be able to systematically establish the educational discourse according to the Qur'anic discourse fundamentals, we should draw it from a science of Holy Quran, which is concerned with the methodological rules of Qur'anic discourse. The most relevant to this is the science of Endowment and Start, which is considered by Muslim scholars as one of the most important sections of Tajweed, the moral and verbal proficiency of Holy Qur'an, the integrity of tongue that is aligned with the correct understanding of Qur'anic educational, preventive, developmental discourse for human. Therefore, the aim of this research is to devise the dimensions of the systematic establishment of educational discourse from the foundations of the science of Endowment and Start.

Key Words :**Quranic sciences, Qur'anic discourse, fundamentals.**

مقدمة:

الحمد الله منزل القرآن الكريم منهجاً لهداية الثقلين إلى طريق الاستقامة في الدارين وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المؤدي لمنهج الوحي أداء متقناً مفصلاً أما بعد.. .

يعد القرآن الكريم منهجاً تعبدياً ومنهجاً تربوياً تقويمياً وقائياً تنموياً لكافة جوانب الشخصية الإنسانية، لذا توجهت عناية العلماء المسلمين بتفصيل منهجه واعتنوا بتصنيف علوم عديدة له تهدف في مجملها تحقيق العلم التفصيلي به، وإقرار إعجازه البياني اللفظي، وإعجازه التشريعي في نفوس المسلمين تحقيقاً تفصيلياً، ولقد جاء تصنيف العلماء لعلوم القرآن الكريم وفق اعتبارين: الاعتبار الأول: علوم تتصل بالبيان اللفظي كأداة لتقويم اللسان وتحقيق منهجية القراءة الصحيحة، ومنها علم التجويد والوقف والابتداء والقراءات، والاعتبار الثاني: علوم تتصل بالبيان المعنوي كأداة تضبط العقل وتنمي فيه الفهم الصحيح للمنهج القرآني، ومنها علم أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، التفسير وأصول الفقه وغيرها. إلا أن هذا التصنيف لا يعني المفارقة والمغايرة في الهدف والمضمون، بل في الحقيقة إن كل علم يغذي ويرتكز على الآخر، فلا سبيل لإقامة البيان المعنوي إلا من خلال إقامة البيان اللغوي، فعلم الوقف والابتداء، علم يقيم البيان اللغوي بالدرجة الأولى، ويتوقف عليه إقامة البيان المعنوي، ولذلك عده العلماء من أهم علوم القرآن الكريم، حيث به تستقيم الألسنة والأفهام، فسلامة اللغة التعبيرية وسلامة أدائها وصلاً ووقفاً على مواضع تمام الخطاب الرباني، يسهم في سلامة الفهم والوعي لمضامينه التربوية، ولقد أسهم علم الوقف والابتداء بتوضيح أسس ارتكز عليها بناء الخطاب القرآني، جعلته خطاباً تربوياً معجزاً في قدرته على هداية الإنسانية وتنمية قدراتها على مر العصور؛ ولكي نرتقي بمستوى الخطاب التربوي، فإنه يتوجب الاهتداء بالمنهج البياني للخطاب القرآني باستقاء أبعاد التأسيس المنهجي للخطاب التربوي من أسس علم الوقف والابتداء، والارتكاز عليها في إقامة أركانه. فالخطاب التربوي بالرغم من قوة ارتكازه في بناء فلسفته التربوية على القرآن الكريم، إلا أن التأسيس المنهجي لأركانه مازالت تفتقر لانتهاج منهج الخطاب القرآني، كما أن الخطاب التربوي يفتقر لعلم كعلم الوقف والابتداء، يدعم تأسيسه لفظاً ومعنى على ضوابط تحقق الفهم الدقيق الشامل للمضامين التربوية، ولمعالجة هذا الجانب فإنه ينبغي ربط قواعد علم التربية بقواعد علوم القرآن المحكم البيان التي من أهمها علم الوقف والابتداء كي يتمكن الخطاب التربوي من إقامة مقاصد الشريعة الإسلامية المجملة في حفظ الضروريات الخمس.

ولقد جاءت عناية البحث الحالي باستقاء أسس علم الوقف والابتداء ودراسة أبعاده التربوية المنعكسة على التأسيس المنهجي للخطاب التربوي بهدف إقامة أركانه على أسس أصيلة تمكنه من تحقيق غايته المتمثلة في تعزيز مكانة التربية الإسلامية في

نفوس أبنائها، وتحقيق التنمية المتكاملة لكافة جوانب الشخصية الإنسانية المستخلفة بمنهج الله على أرضه.

مشكلة البحث:

يفتقر الخطاب التربوي الإسلامي لتأسيس منهجي أصيل، يقيم أركانه ويوجهه صوب تحقيق الهدف والغاية العظمى للتربية؛ على نحو يضبطه وفق معايير البلاغة والبيان والحكمة الواردة في أقدس خطاب تربوي "كلام الله عز وجل " الذي تحدى به الله الثقلين الإنس والجان فلم يستطيعوا أن يبلغوا إتقانه وجودة خطابه. وبالرغم من أن الله تحدى به الثقلين إلا أنه وضح أساسيات جودة الخطاب التربوي الذي يتناسب مع مختلف العقول والأنفس.

ولتسهيل بيان الإعجاز اللفظي والمعنوي للقرآن الكريم صنف علماء القرآن الكريم علوماً تُفصّل بيان أسس الأداء اللفظي والمعنوي للقرآن الكريم من أبرزها علم الوقف والابتداء؛ الذي يعتني بتمام المعنى، وسلامة الأداء اللفظي وصلاً وقطعاً، فقد فصل علم الوقف والابتداء، منهجية أداء الخطاب القرآني التربوي لكل مبتغٍ للهداية به؛ ليكون أقوى داعم له لتطبيق هذه المنهجية في كافة خطاباته وخاصة التربوية التي يعتمد عليها تحقيق المنهج التربوي الإسلامي لأهدافه وغايته، فلم تنحدر مستوى مخرجات التربية نحو المنحى السلبي إلا عندما ضعف التـــأسيس المنهجي للخطاب التربوي؛ مما جعله ضعيفاً في بنائه اللفظي وترابطه المعنوي، وقصر وغاب البرهان عن الاتصال بالحقائق، وانفصلت الأسباب عن المسببات، فبات المنهج التربوي غامضاً غير مقنع بشكل يلزم القوى العقلية والعملية للمتربين الالتزام بمضامينه؛ ولذلك فإن الحاجة تدعو إلى التأسيس المنهجي للخطاب التربوي وفق أسس علم الوقف والابتداء.

تساؤلات البحث: سعى البحث للإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما التأسيس المنهجي للخطاب التربوي وفق أسس علم الوقف والابتداء؟

ويتفرع منه عدة أسئلة فرعية تتمثل فيما يلي:

س١: ما الأساس المفاهيمي لعلم الوقف والابتداء؟

س٢: ما مكانة علم الوقف والابتداء؟

س٣: ما منهجية الوقف والابتداء لدى علماء علوم القرآن الكريم؟

س٤: ما أبعاد التأسيس المنهجي للخطاب التربوي المستنبطة من أسس علم الوقف والابتداء؟

أهداف البحث: يتمثل الهدف الرئيس للبحث في التأسيس المنهجي للخطاب التربوي وفق أسس علم الوقف والابتداء.

ولتحقيق هذا الهدف فانه ينبغي تحقيق الأهداف الفرعية التالية:

١- بيان الأساس المفاهيمي لعلم الوقف والابتداء.

٢- توضيح مكانة علم الوقف والابتداء.
٣- بيان منهجية الوقف والابتداء عند علماء علوم القرآن الكريم.
٤- أبعاد التأسيس المنهجي للخطاب التربوي المستنبطة من أسس علم الوقف والابتداء.

أهمية البحث:

١- يسهم البحث في تحسين جودة الخطاب التربوي، بإقرار قواعد التأسيس المنهجي للخطاب التربوي وفق أسس علم الوقف والابتداء.
٢- يسهم البحث في علم الوقف والابتداء، في تحقيق منهجية الفهم الصحيح للآيات القرآنية لدى المربين والمتربين تبعاً لعنايته ببيان المواضع التي يتم فيها المعنى، فيبلغ القارئ فهم مراد الله وحكمه؛ مما يسهم في تحقيق صحة الاستدلال والاستنباط للأحكام الشرعية التربوية.
٣- إن الجهل بأسس الوقف والابتداء ومواضعه الصحيحة، أوقعت بعض من المجتهدين في مجال التربية في واقعنا المعاصر في الضلال الفكري والسلوكي نتيجة فساد وصل المعاني بمتعلقاتها، أوفصلها عن مغاياراتها فحملوا الآيات القرآنية مالا تحتمل من معانٍ، ولقد كان ذلك بذرة لظهور الفرق الضالة؛ ولذا فإن العناية ببيان أسس علم الوقف والابتداء ستسهم في توجيه عملية الاجتهاد التربوي في فهم الآيات القرآنية التوجيه الصحيح، وتوجيه مسار الأفكار الضالة المتأثرة بفساد الفهم.

منهج البحث: إن المنهج العلمي الذي يناسب هدف البحث يتمثل في المنهج الاستنباطي الأصولي الذي أقره العلماء المسلمون والقائم على "استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة " (يالجن. ١٤١٩هـ: ص١٩). وفق قواعد فهم النصوص الشرعية وقواعد الترجيح وقواعد الاستنباط التي وضعها علماء أصول الفقه الإسلامي والعلماء المسلمون. كما يعرف المنهج الاستنباطي في ميدان التربية بأنه " الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي، ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة" (فودة، حلمي محمد. وآخرون. ١٤١١هـ: ص٤٢).

حيث يمكن توضيح خطوات استخدام المنهج الاستنباطي الأصولي وفق ما يلي:

١- استنباط أسس علم الوقف والابتداء من منهجية تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم وعلماء علوم القرآن الكريم له.
٢- استنباط قواعد التأسيس المنهجي للخطاب التربوي من أسس علم الوقف والابتداء.

مصطلحات البحث:

علم الوقف والابتداء: علم يعرف به مواضع تمام المعنى، ومتعلقاته لفظاً وحكماً في الآيات القرآنية بشكل يصح معه الاستدلال الشرعي والمعرفي وتتجلى معه أسرار الشريعة وحكمها ويتحقق به إدراك مراد الله سبحانه وتعالى.

التأسيس المنهجي للخطاب التربوي: إقرار الأسس المنهجية التي ينبغي أن يرتكز عليها بناء الخطاب التربوي الإسلامي؛ ليتمكن من تحقيق أهدافه التربوية وفق ما يتناسب مع غاية التربية الإسلامية ويكفل حفظ مقاصدها.

المبحث الأول: الأساس المفاهيمي لعلم الوقف والابتداء

يعد الأساس المفاهيمي مفتاح الإدراك العقلي للعلم، ورسم حدوده اللفظية والمعنوية وتوضيح منهجيته، وقيام أركانه وضبط أبعاده للعقل الإنساني بشكل يؤمن معه الالتباس والتداخل المفاهيمي بالعلوم الأخرى؛ ولذا جاء الاهتمام بالأساس المفاهيمي لعلم الوقف والابتداء، يوضح بعدين: الأول يتصل بمفهومه، وفق الدلالة اللغوية والبيان الاصطلاحي لاستخدام العلماء له، بينما يتصل البعد الثاني بتحديد الفرق بين مفهوم الوقف، والقطع، والسكت.

المطلب الأول: مفهوم علم الوقف والابتداء.

الوقف في اللغة: " الوقف يجمع على أوقاف ووقوف، وهو في اللغة الكف عن القول والفعل، وفي الاصطلاح ترك القراءة برهة من الزمن للتنفس " (ابن حنيفة العابدين. ١٤٢٧هـ: ص١١-١٢).

ويعرف الزركشي علم الوقف والابتداء بأنه: "فن جليل، وبه يعرف كيفية أداء القرآن ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة وبه تتبين معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات" (الزركشي. ١٣٩١هـ: ص٣٤٢).

ويظهر تعريف الزركشي أن علم الوقف والابتداء، له فوائد عظيمة تتجلى في بلوغ القارئ والسامع مراد الله من الآيات القرآنية، والوصول للمعنى الصحيح، الذي يحقق الفهم الجيد، والاستنباطات الصحيحة للأحكام الشرعية، ويؤمن معه الالتباس والخطأ في الفهم والاستدلال.

كما يعرفه الداني بأنه: "فن جليل، يعرف به أداء القراءة بالوقف على المواضع التي نص عليها القراء لإتمام المعنى، والابتداء بمواضع محددة لا يختل فيها المعنى. " (الداني. ١٤٠٧هـ: ص٤٨)، فالعبرة في الوقف والابتداء تمام المعنى، واتصاله لفظاً وحكماً، والحذر من كل انقطاع يخل بذلك، ويفسد معه المعنى، ويضيع معه مراد الله وأحكامه وحكمها.

وفي ضوء التعريفات السابقة فإن الباحثة تعرف علم الوقف والابتداء بأنه:

علم يعرف به مواضع تمام المعنى ومتعلقاته لفظاً وحكماً في الآيات القرآنية بشكل يصح معه الاستدلال الشرعي والمعرفي، وتتجلى معه أسرار الشريعة وحكمها ويتحقق به إدراك مراد الله سبحانه وتعالى.

ووفق ذلك يتضح المراد من علم الوقف إلا أنه يحسن التفريق بينه وبين القطع والسكت من حيث الصفة والغرض والحكم الشرعي.

المطلب الثاني: الفرق بين مفهوم الوقف، والقطع، والسكت.

اهتم علماء القرآن الكريم بالتفريق بين الوقف، والقطع، والسكت توضيحاً منهم لأحكام القراءة والأداء القرآني. حيث يفرق السيوطي بينهم فيرى أن "الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسماً "(السيوطي. ١٤١٦هـ: ص٢٢-٢٣)، فالوقف إذن، قطع القراءة لبرهة من الزمن بقصد التنفس لا الفصل المعنوي واللفظي، فالنية من الوقف طلب القارئ للتنفس، فهو حالة طارئة تعرض للقارئ؛ مما يجعل مواضعه متمثلة في رؤوس الآيات وأواسطها، ويقتضى ذلك على القارئ أن يعتني باختيار المواضع التي يتم فيها المعنى ولا ينقطع فيها بشكل يحصل معه الخلل في الأداء والفهم.

أما القطع فهو " عبارة عن قطع القراءة رأساً، فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة، والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها، وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة ولا يكون إلا على رأس آية لأن رؤوس الآي في نفسها مقاطع"(السيوطي. ١٤١٦هـ: ص٢٣). فالقطع إذن كف القارئ عن القراءة بغرض الانتهاء منها؛ مما يجعل من نية وقصد القارئ موجباً له على الإتيان بالقطع في موضع واحد يتمثل في رؤوس الآيات التي وضعت للقطع، ويلزم القارئ مع القطع استئناف القراءة بالبسملة والتعوذ من الشيطان الرجيم؛ لكون اشتغاله بغير القراءة من كلام ونحوه تسبب في قطع اتصال الخطاب الرباني عن بعضه، ولكي يؤمن القارئ والسامع من الالتباس بدخول ما ليس في القرآن فيه اقتضت الحاجة استئناف القراءة بالبسملة والتعوذ، كما ينال القارئ الحفظ والصون من الشيطان فيصل للاهتداء بالقرآن الكريم.

أما السكت فهو" عبارة عن قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس، واختلاف ألفاظ الأئمة في التأدية عنه مما يدل على طوله وقصره فعن حمزة في السكت على الساكن قبل الهمزة سكتة يسيرة، وقال الاشناني قصيرة، وعن الكسائي سكتة مختلسة من غير إشباع، وقال ابن غلبون وقفة يسيرة، وقال مكي وقفة خفيفة، وقال ابن شريح وقيفة، وعن قتيبة من غير قطع نفس، وقال الداني سكتة لطيفة" (السيوطي. ١٤١٦هـ: ص٢٣)، فالسكت يفرق عن الوقف حكماً وصفةً، فهو سكون

القارئ عن القراءة من غير نفس؛ إنما لغرض آخر لعله يكون في تنبيه السامع والقارئ، أو لغرض لغوي من إكساب المعنى قوة كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين: آية ١٤). ويشار لمواضعها في القرآن الكريم بحرف السين وهي توقيفيه لا تجوز بالقياس؛ لكونها مواضع أبرزتها سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه في القراءة والأداء القرآني، بينما تكون مواضع الوقف ممكنة بالقياس متى ما روعيت قاعدة الوقف على مواضع تمام المعنى، وأمن الانقطاع الذي يخل به ويفسده.

فعلم الوقف والابتداء من باب التيسير على الأمة الإسلامية إلا أن هذا التيسير يلزم الدقة في تطبيقه؛ لكي تحفظ له مكانته ويبلغ به العبد تمام النفع والهدى. ففي بيان أهمية تعلم الوقف والابتداء فوائد ترشد المسلم لضرورة الأخذ به، ومعرفة قواعده وتطبيقها على النحو الصحيح، وهذا ما توجه إليه عناية المبحث الثاني من البحث.

المبحث الثاني: مكانة علم الوقف والابتداء.

لعلم الوقف والابتداء مكانة عالية تنبثق من اتصاله المباشر بالقرآن الكريم، وتوقف تحقيق عملية الفهم والإدراك لآياته بمعرفة مواضع اتصال وانقطاع الخطاب الرباني عما قبله وبعده، حيث يعد المرشد إلى مواضع الفواصل اللفظية والمعنوية ومواضع اتصالها في الآية الواحدة وبين الآيات بشكل يتهيأ معه تمام المعنى، وبيان المقصد التربوي الشرعي من الخطاب الإلهي، فهناك مواضع في الآية الواحدة وبين الآيات المتتالية توجب وصل القراءة، و لا يجوز الوقف عليها؛ لكون الوقف في غير موضعه يغير المعنى مما يؤثر في صحة الاستدلال والاستنباط وبناء الأحكام الشرعية التربوية، كما أن الجهل بمواضع الوقف والابتداء أوقعت بعض المجتهدين المعاصرين في الضلال الفكري والسلوكي الذي كان بذرة لظهور الفرق الضالة. فقراءة القرآن الكريم وتحقيق العلم بمنهجه التربوي لا تنضبط الا من خلال هذا العلم ولذا صنفه العلماء من ضمن علوم القرآن الكريم المكملة لعلم التجويد.

المطلب الأول: أهمية تعلم الوقف والابتداء:

إن تعلم علم الوقف والابتداء من أهم أبواب التجويد والإتقان المعنوي واللفظي للقرآن الكريم، قال ابن الجزري: " ولا أعلم لبلوغ النهاية في التجويد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ الملتقى من فم المحسن، وقاعدته ترجع إلى معرفة كيفية الوقف والإمالة والإدغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف"(السيوطي. ١٤١٦هـ: ص٢٦٧)، فعلم الوقف معتبرٌ من قواعد تلقي القرآن الكريم وتعلمه، وعمادٌ لتجويده، وإتقان معانيه، وتمام فهم مراد الله منه وطريق لتحقيق حفظ مكانته المتمثلة في كونه منهجاً للتربية وهداية الأمة. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴿ ٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ

اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (سورة النمل: آية ٩١ – ٩٢).

ورد في تفسير الجلالين لقوله تعالى: ﴿ وأن أتلو القرآن ﴾ " عليكم تلاوة الدعوى إلى الإيمان"(المحلي و السيوطي. د.ت: ج١: ص٥٠٥)، وصفة تلاوة الدعوى أن يعقد القارئ لكتاب الله نيته على طلب الهداية والاهتداء به؛ ليتفق مقصد القارئ مع مقصد المشرع سبحانه وتعالى من إنزال القرآن الكريم منهجاً تربوياً شرعياً، فيعقد الإيمان في كلماته، ويقيم حدوده بإقامة حروفه. ويحصد القارئ ذلك بواسطة سلامة التلقي من معلم الأمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح المنتهجين بنهجه، حيث يتمثل منهجه صلى الله عليه وسلم في تعليم القرآن الكريم في أدائه مجوداً وتلاوته متقناً موضحاً مواضع تمام المعنى (مواضع الوقف والابتداء الصحيحة).

وإن كان علم الوقف والابتداء معتبراً في تحقيق استقامة اللسان والعقل بفهم مراد الله فهو يعد المرتكز الأساسي لتدبر القرآن الكريم الذي يتطلب أداءً حسناً لألفاظه، ووقفاً محققاً للمعنى في القلوب لكي يقع التدبر موقع التزكية للنفوس، والتربية للعقول والتوجيه الأمثل للجوارح. فتعيه الأذن الواعية وتدركه الأبصار النيرة، وتفقهه القلوب اليقظة، فتنقاد الجوارح لأنوار المنهج الرباني، وفق قواعد علم الوقف والابتداء التي تبرز الفواصل اللفظية والمعنوية المرشدة لتمام المعاني القرآنية، وإقامة المبادئ الإسلامية، والأحكام الشرعية ودلائلها، وحكم الله و سننه في الكون والإنسان.

فدقة الفهم لكتاب الله سبحانه وتعالى ومنهجه واجب على كل مسلم؛ لتوقف قبول العمل وصحته في الشريعة الإسلامية على صحة العلم ودقة الفهم، كما أنه طريق لصيانة العقل عن التقول على الله بغير علم. قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: آية ٨٠)، فقد أفادت الآية الكريمة إلى ضرورة ارتكاز الاعتقاد والعمل في الشريعة الإسلامية على الدليل السمعي في كل ما لا يعلم صحته إلا به، وفي كل ما يتعلق بعلاقة العبد مع ربه مما يجعل استقاء منهج الشريعة الإسلامية قائماً على صحة أداء ألفاظه حكماً ومعنى ليتحقق الفهم الصحيح له، ويؤمن معه القول والعمل بغير علم بمراد الله سبحانه وتعالى.

فقد يقع الخطأ في تلاوة القرآن الكريم نتيجة الجهل بمواضع الوقف والابتداء التي يتم عندها المعنى، فينتج عن ذلك تغير مراد الله وقصره عن صحة الفهم والاستدلال، و تحميل الآيات القرآنية مالا تحتمل، وتوجيهها توجيهاً مغايراً لمراد الله سبحانه وتعالى. فقد ذكر الشافعي في بيانه للآية الكريمة فوائد كان من بينها "أنه تعالى لما عاب عليهم القول الذي قالوه لا عن دليل علمنا أن القول بغير دليل باطل" (الشافعي. ١٤٢١هـ: ج٣: ص١٣٢)، وإن كان القول بغير دليل باطلاً ومحرماً فالحال في القول

الباطل والاستدلال الخاطئ المبني على سوء الفهم للآيات القرآنية الحاصل نتيجة قطع المعاني القرآنية وقصرها عن التمام حال الوقف والابتداء لهو أشد تحريماً وأشد إضراراً بالفرد والمجتمع؛ لكونه ينسب ما يقع فيه المسلم من خطأ في الفهم والاستدلال لله سبحانه وتعالى، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فعلم الوقف والابتداء ضرورة وقائية تقي المسلم من الفهم الفاسد والاستدلال الخاطئ والعمل المردود؛ مما يقتضي أهمية تعلمه من قبل كل مسلم طالب للهداية من منهج القرآن الكريم. لذلك أمر الله عباده حال تعذر فهمهم وعلمهم بكتاب الله أن يسألوا أهل العلم؛ ليرشدوهم إلى ما يقيم أمورهم الدينية والدنيوية. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(سورة الأنبياء: آية ٧)، فقد أرشد الله سبحانه وتعالى عباده إلى الأهمية التربوية لطريقة التلقي عن العلماء في تعلم كل علم يكون إتقانه وجلاء فهمه معتمداً على الأخذ مباشرة ومشافهة من العالمين به؛ لذا بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم معلماً وموجهاً لأمته؛ كي يعلمهم كتاب الله علماً وعملاً، معنى وحكماً. قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: آيةَ ١٥١).

ومن أوجه أهمية علم الوقف والابتداء، كونه من سبل ترتيل القرآن الذي أمر الله به عباده. قال تعالى: ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ (سورة المزمل: آية ٤)؛ لكون الوقف والابتداء يساعد في إيقاع الترنم الخاص بكل حرف وقفاً وابتداءً. فنطق الحرف في نهاية الكلمة وقفاً يفرق في أدائه اللفظي عن حال الوصل بشكل يعكس ترتيلاً متقناً لأصوات الحروف ويظهرها إظهاراً بيناً بطريقة تقيم المعنى وتجلي أنواره في الفكر، وفق صوت حسن شجي مترنم بأصوات الحروف التي تحفز النفوس للإقبال على القرآن، فالصوت الشجي يزيد القرآن حسناً في وقعه في النفوس، فعن علي رضي الله عنه: قال في قوله تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) " الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف "(السيوطي. ١٤١٦: ص٢٢١).

فعلم الوقف والابتداء هو علم القراءة وأداء القرآن على الوجه الذي أنزل عليه ببيان معانيه، وجلاء أحكام الله وكيفيتها.

كما أن لهذا العلم ثماره اليانعة المنعكسة على علم إعجاز القرآن الكريم الكامن في بلاغة التعابير القرآنية، وترابط معانيه، وجودة الصياغة اللغوية والمعنوية، والتي يتم إدراكها وبلوغها بعلم الوقف والابتداء ومواضعه التي يستقيم فيها المعنى ويسلم فيه من انقطاع الأسلوب التعبيري الذي يختل معه الفهم ويفسد الإدراك في النفس.

ولعلم الوقف والابتداء أهمية أخرى تتلخص في كونه يمثل حلقة الالتقاء والوصل للقرآن الكريم بالعلوم الشرعية الأخرى كعلم التفسير والفقه، وعلوم اللغة

العربية كقواعد النحو والبلاغة، فإن علم التفسير يفتقر إلى علم الوقف والابتداء؛ لكونه يرشد المفسر لمواضع تمام المعاني القرآنية، ويوضح له متعلقاتها ودلائلها؛ مما يجعله يستضيء بأنوار الهدى حال بيانه لمراد الله. كما أن الفقيه بحاجة ماسة لعلم الوقف والابتداء؛ ليتمكن من صحة الاستدلال والاستنباط للأحكام الشرعية وصفتها، وبيان حكمها ومقاصد الشريعة من تشريعها. أما الباحث في علم اللغة العربية فإنه يجد في علم الوقف والابتداء زاده الذي يقيم عليه قواعده النحوية والبلاغية، ويوفر له الأسس الصحيحة لبناء المعنى واضعاً نصب عينيه أهمية وصل المتعلقات اللفظية ببعضها، وعدم فصلها بشكل يتغير معه المعنى وتفسد به الدلالة اللفظية والمعنوية.

والتربوي المسلم يحصد نتائج هذا الالتقاء بين العلوم ليطرحها في منهج تربوي ينمي لدى المتربين روح التكاتف العلمي الديني، ويرتقي بهم وفق قواعد تربوية مستقاة من تفعيل قواعد كل علم في ظل الآخر.

فالتربية الإسلامية تمثل الجانب التطبيقي التفعيلي لحصاد العلوم الشرعية والإنسانية وحلقة الوصل بين جهود العلماء وبين الإنسان والمجتمع، فلو تم إمعان النظر في هدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم في تربية أمته على المنهج الإسلامي لوجدناها تربية متكاتفة متكاملة عملية، تفعل قواعد كل علم شرعي في كافة مجالات الحياة الإنسانية؛ مما جعل الرعيل الأول من أمته جيلاً ينطق بالمنهج الإسلامي قولاً وعملاً ويحتذي به في كافة شؤون حياته، فكان المنهج الإسلامي منهجاً تنبض به الحياة وتستكن به الإنسانية.

المطلب الثاني: نهج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة في التأسيس المنهجي للخطاب التربوي بتعلُم وتعليم أسس الوقف والابتداء:

اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم علم الوقف والابتداء لأصحابه رضوان الله عليهم، وانبثقت عنايته بترسيخه في أنفسهم في كافة خطاباتهم وأقوالهم. ومن بين المواقف التربوية التي بينت عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بصحة الأداء الخطابي. أن رجلاً خَطبَ عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " من يطع الله ورسوله فقد رشد. ومن يعصهما فقد غوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بئس الخطيب أنت. قل: ومن يعص الله ورسوله ".(النيسابوري. ١٣٧٤: ج٢: ص٥٩٤)، فقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخطيب بكونه بئس الخطيب لقوم المسلمين عندما أخطأ في بناء خطابه وتفصيل بيانه بتشريك الضمير بين الله والرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: ومن يعصهما فقد غوى. حرصاً منه صلى الله عليه وسلم على صحة المعنى كي لا يقتضي التشريك في الضمير التسوية بينه وبين الله سبحانه وتعالى في مرتبة معينة. معلماً بذلك أمته الدقة في بناء الخطاب السليم، واستخدام أسلوب العطف الصحيح.

فلقد ورد تصحيح النبي صلى الله عليه وسلم لخطاب الخطيب على النحو التالي" خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسكت فبئس الخطيب أنت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ولا تقل من يعصهما"(الشافعي. ج١: ص٦٧)، ورابطة ذلك بعلم الوقف والابتداء أن للوقف مواضع لا يستقيم معها المعنى، ويفسد بها مراد الله سبحانه وتعالى نتيجة خطأ القارئ بفصل الضمير عن متعلقه أو تشريك ضمير بغير متعلقه، فإن كانت عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم أمته أصول الخطاب الصادر منهم فكيف الحال بعنايته بتعليمهم أداء الخطاب الرباني. فلقد ورد في السنة شواهد لعناية النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم القرآن الكريم وفق ما يقيم بيان مراد الله سبحانه وتعالى، حيث يمثل تعلم مواضع الوقف والابتداء أولويات التعلم للقرآن الكريم، والتي تسبق تعلم الحلال والحرام؛ لكونهما لا يعلمان إلا بعلم مواضع الوقف الصحيحة التي تربط متعلقات اللفظ والمعنى ببعضها البعض فيصح الاستدلال والاستنباط للأحكام. ففي الأثر عن ابن عمر رضي الله عنه يقول: " لقد عشنا بره من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم، فيتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها، كما تعلمون أنتم القرآن، ثم قال لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ينثره نثر الدقل " (النيسابوري. ١٤١١هـ، ج١: ص٩١)، فهذا الحديث يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتعلمون مواضع الوقف من النبي صلى الله عليه وسلم تعلم الأصل والقاعدة الأساسية التي ترشد لأحكام القرآن التشريعية. وعن جابر بن عبد الله قال: "دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا فيه قوم يقرؤون القرآن. قال: اقرؤوا القرآن وابتغوا به الله عز وجل من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه"(الشيباني. ج٣: ص٣٥٧)، وفي الحديث فوائد جمة في تعليم القرآن الكريم وفق قاعدة علم الوقف والابتداء منها ما ذكره أبو أمامة الباهلي حيث قال: " اقرؤوا القرآن، وابتغوا به الله تعالى على الكيفية التي يسهل على ألسنتكم النطق بها مع اختلافها فصاحة، ولكنة ولثغة بلا تكلف، ولا مشقة، ولا مبالغة من قبل أن يأتي قوم، أي قرون متتالية يقيمونه إقامة القدح بكسر القاف السهم الذي يرمى به. يتعجلونه أي يطلبون بقراءته العاجلة من عرض الدنيا والرفعة فيها، ولفظ رواية أحمد يتعجلان أجره ولا يتأجلونه أي لا يريدون به الآجلة وهو جزاء الآخرة فمن أراد بها الدنيا فهو متعجل وإن ترسل في قراءته، ومن أراد به الآخرة فهو متأجل وإن أسرع في قراءته بعد إعطاء الحروف حقها"(المناوي. ١٣٥٦هـ، ج٢: ص٦٦).

فالعجلة في قراءة القرآن الكريم تقع حكماً تطبيقياً بقراءته على نحو يختل به المعنى ولا يعلم معه الفواصل اللفظية والمعنوية (الوقف والابتداء)، كما تتمثل العجلة

في ابتغاء الهدف والغاية بتعلقهما بالحياة الفانية العاجلة. فسبحان من أتى نبيه جوامع الكلم وفواصل الخطاب مقيماً بهما منهج التربية الإسلامية. وعن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أُبَي إني أقرئت القرآن، فقيل لي: على حرف أو حرفين ؟ فقال الملك الذي معي: قل على حرفين. قلت: على حرفين، فقيل لي على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال الملك الذي معي: قل على ثلاثة. قلت: على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب " (السجستاني. ١٣٨٨هـ: ج٢: ص٧٦)، وهنا إشارة للتوسع والتيسير على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالقراءة على سبعة أحرف، لكن هذا التيسير محكوم بضوابط فلا تصح القراءة على نحو يتم فيه وصل العذاب بالرحمة، فيستوي الحالين بالاقتران، فمن شأن كل حال أن يوصل بمتعلقه ويفصل عن حال جديدة غيره، وإنما يكون ذلك بتحقيق علم الوقف والابتداء على النحو الصحيح.

ومن هدي النبي صلى الله عليه وسلم التؤدة في أداء الوحي لفظاً ومعنى، ومعنى دون اللفظ (القرآن والسنة). فعن عائشة رضي الله عنها قالت:" كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه " (السجستاني. ج٤: ص٢٦١). ومعنى الحديث " ما كان النبي يأتي بالكلام متتابعاً مع العجلة به، فإن ذلك يورث لبساً على السامعين، ولا يمكنهم من فهمه وحفظه بل كان كلامه ظاهراً واضحاً مفصلاً متميزاً بعضه عن بعض" (كاتبي. ١٤٢٧هـ: ص٧٦). فهدي النبي صلى الله عليه وسلم في خطابه الرزانة والتؤدة والتفصيل المبين للمعاني والمقاصد اللفظية، وتميز الكلام بعضه عن بعض وفق وضوح الفواصل اللفظية والمعنوية التي تقيم المعنى السليم دون شبهة ولا غموض في الحكم والمعنى. فروعة الخطاب النبوي مكنته – صلى الله عليه وسلم – من بيان منهج التربية الإسلامية بياناً كافياً وافياً مذكياً به قوى النفس الإنسانية، ومعلماً لأمته الكتاب والحكمة بتلاوة متقنة مبينة. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(سورة الجمعة: آية ٢). فالمنهج القرآني الذي أنزله الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة، جعل منه رسولاً للأمة بقوة فصاحته وبيانه، فكان مثلاً للخطيب البليغ الذي يجزل البيان في عبارات بينة واضحة، وكل ذلك من هدي تعلم أداء القرآن الكريم بشكل قويم، أقام للنبي صلى الله عليه وسلم شخصية متميزة في صياغة خطابها التربوي.

المبحث الثالث: منهجية الوقف والابتداء لدى علماء علوم القرآن الكريم.

اعتنى علماء علوم القرآن الكريم بعلم الوقف والابتداء بتفصيل صفته وأحواله وبيان أقسامه، قاصدين رسم منهجية لتطبيقه على الوجه الصحيح التام؛ ولذا اعتنى هذا المبحث بمحورين حقيقة الوقف وأقسامه عند علماء علوم القرآن الكريم.

المطلب الأول: حقيقة الوقف والابتداء:

إن حقيقة الوقف تتمثل في صفته وأحواله التي تتجلى في مواضع الوقف المعتبرة عند علماء علوم القرآن التي جاءت مستنيرة بالهدي النبوي، فقد دلت الأحاديث النبوية على هدي النبي في الوقف والابتداء على رؤوس الآيات. فعن أم سلمة هند بنت أبي أمية قالت "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقرأ: { الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ }. ثم يقف { الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ }. ثم يقف، وكان يقرؤها: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}" (الترمذي. ج٥: ص١٨٥)، وفي رواية أخرى قالت أم سلمة رضي الله عنها: " قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ١ ﴿ الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٣ ﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ يقطع قراءته آيةَ آيةَ " (النيسابوري. ١٣٨٨هـ، ج٤: ص٣٧)، فهدي النبي صلى الله عليه وسلم متمثل في الوقف على رؤوس الآيات، وإن لم يكن تمام المعنى كائناً بها في أغلب الآيات؛ لما تمثل هديه صلى الله عليه وسلم في اعتبارها موطناً للوقف، فمع حرصه صلى الله عليه وسلم الشديد على تمام المعنى جاء هديه في الوقوف على رؤوس الآيات دالاً على كونها مواضع للوقف يتم فيها المعنى.

وذهب بعض القراء لاعتبار موضع الوقف الصحيح في الموضع الذي يتم فيه المعنى، سواءً أكان موضع تمام المعنى بالوقف على رؤوس الآيات، أم كان تمام المعنى بوصل بعض الآيات بما بعدها، ويرى البعض أن اعتبار ما أقره الرسول صلى الله عليه أولى بالأخذ والامتثال، "فأكثر أواخر الآي في القرآن تام أو كاف، وأكثر ذلك في السور القصار الآي، وهذا هو الأفضل أعني الوقوف على رؤوس الآي، وإن تعلقت بما بعدها، وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد، والوقف عند رؤوس انتهائها، واتباع السنة أولى " (الداني. ١٤٠٧هـ: ص٥٩).

ومن وجهة نظر الباحثة فإن الوقف على رؤوس الآيات متمم للمعنى في أغلب السور والآيات القرآنية، مع ضرورة التفريق بين مواضع تمام المعنى الجزئي للمحور الموضوعي التربوي، والذي يكون في الآية الواحدة، بحيث يقيمه منفصلاً عن بقية الآيات ذات المحور الموضوعي الواحد، وما بين ما يتم المعنى الكلي للموضوع ويجمع بين أجزائه، فإن هذا الاعتبار جامع بين الأخذ بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في الوقف والابتداء، والأخذ بهدي اعتبار الوقف والابتداء وفق تمام المعنى لا وفق رؤوس الآيات، فغالباً ما نجد أن المعنى الكلي التفصيلي لأمر ما أو حكم شرعي لا يقع في آية

واحدة إنما يقع في عدة آيات متتالية أو متفرقة إلا أن الوقف على رؤوس الآيات المتتالية المشتركة في المحور الموضوعي الواحد صحيح؛ لكونه متمماً لمعنى الآية في حد ذاتها، وهذا ما يجب اعتباره لكون القرآن الكريم نزل وفق هذه الصورة، وكيفية أدائه جاءت معتبرة لها، فالأحوط عدم العدول عن ذلك إلا في أحوال قليلة يثبت للقارئ فيها عدول القاعدة عن الاستقامة في أحوال معينة، فالقاعدة لابد أن تكون وفق هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وفق رؤية من جاء بعده، وإن كانت صحيحة فهي معتبرة في أحوال معينة مخصصة كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (سورة الماعون: آية ٤-٥)، فهنا لا يصح الوقف على رأس الآية: ﴿فويل للمصلين﴾ بل يجب الوقف على موضع يتم فيه المعنى الصحيح وهي الآية التالية عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، لأن مراد الله الذي يثبت به الحكم الشرعي كائن في وصل الآية بما يليها وإلا فسد المعنى، وهذا هو الأسلم من وجهة نظر الباحثة والله أعلم.

مما سبق يتبين أن العلماء مختلفون في مواضع الوقف فمنهم من يرى أن موضعه حال انقطاع النفس وهذا اضطراري، ومنهم من يرى عند رؤوس الآيات، وهذا اختياري يوافق الهدي النبوي، ومنهم من يرى أن مواضع الوقف والابتداء في المواضع التي يتم فيها المعنى، ويبلغ تمام الإدراك لا على رؤوس الآيات، وهذا معتبر وصحيح في أحوال، ومع كل هذا الاختلاف نجد أن اختلافهم ظاهري إن تم اعتماد قاعدة الوقف على رؤوس الآيات؛ لكون تمام المعنى وجلاء إدراكه واقعاً بها في أغلب الآيات، ومن ثم معرفة أقسام الوقف التي تحيل الرأي الأول إلى كون الوقف اضطرارياً، والرأي الأخير إلا كون الوقف على رؤوس الآيات متماً للمعنى إلا في مواضع قليلة مخصصة يلزم فيها القارئ أن يرجح تمام المعنى والوقوف عنده على الوقوف عند رؤوس الآيات.

ومن حقيقة الوقف معرفة الأحكام التطبيقية للحروف والكلمات الموقوف عليها فقد تضمت قواعد اللغة العربية حكم الحروف في أواخر الكلمات حال الوقف، فجعلت "الموقوف عليه لا يكون إلا ساكناً، والمبدوء به لا يكون إلا متحركاً، ويشترك في ذلك الفعل والاسم والحرف" (الداني. ١٤٠٧هـ: ص٥٤). إلا أن اقتصار حركة الموقوف عليه على السكون غير معتدة عند علماء التجويد وأئمة القراء، فقد خرجوا بقاعدة لغوية للحروف الموقوف عليها في أواخر الكلمات وعلقوا بها أحكاماً عديدة، جعلوا من بينها الوقف بحرف ساكن وهو الأغلب والأصل في الوقف، لكن هناك مواضع يرون فيها أحكاماً أخرى تساعد على إقامة المعنى، وتظهر التناغم الأسلوبي بين كلمات القرآن الكريم، وتوضح التلاؤم اللفظي بين خواتيم الآيات.

ويمكن الإشارة إلى الأحكام المتعلقة بالحروف الموقوف عليها عند أئمة القراء وعلماء التجويد تنبيهاً لا تفصيلاً وهي: "السكون، الإلحاق، الإثبات، الحذف، الإدغام،

النقل، الإبدال، الإشمام، الروم" (منصور. ١٤٢٢هـ: ص١٣٤-١٣٧)، فقد جاءت هذه الأحكام متناسبة مع هدف أئمة قراء المسلمين من حيث أداء القراءة بشكل يقيم المعنى ويتم قوامه. أما الابتداء فيكون بتحريك أواخر الكلمات وإعطائها حركاتها التي تفترق تبعاً لأحوال وقوعها في الجملة، والابتداء فعل اختياري " لأنه ليس كالوقف تدعو إليه الضرورة فلا يجوز إلا بمستقبل للمعنى موف بالمقصود."(منصور. ١٤٢٢هـ: ص٥٦)، وبعد معرفة القاعدة التي لابد من اعتبارها حال الوقف والابتداء فإنه من الضروري معرفة تقسيمات أئمة القراء للوقف والابتداء، حيث عمدوا لتقسيمه وفق عدة أقسام سنتعرض لبيانها في المطلب الثاني من هذا المبحث.

المطلب الثاني: أقسام الوقف وأمثلته:

قسم الأنباري الوقف وفق ثلاثة أقسام " تام وحسن وقبيح " (السيوطي. ١٤١٦: ص٢٢٢).

أولاً: الوقف التام: يعرف الوقف التام بأنه "الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ولا يكون ما بعده متعلق به " (السيوطي. ١٤١٦: ص٢٢٢) لا لفظاً ولا معنى، وسمي تاماً لتمام الكلام به واستغنائه عما بعده.

وذكر عبد القادر منصور مواضع أربعة يقع الوقف التام بها (منصور. ١٤٢٢هـ: ص١٤٣-١٤٤):

١- أواخر السور القرآنية.
٢- أواخر القصص القرآنية.
٣- نهاية الكلام عن أي موضوع شرعي معين.
٤- أخر الآية أو وسطها.

ويظهر الفرق بين التام والكافي في تعريف المرعشلي للوقف الكافي بأنه: " الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ " (المرعشلي. ١٤٠٧هـ: ص١٤٣).

فالفرق بين التام والكافي في كون التام منقطع التعلق بما بعده لفظاً ومعنى، أما الكافي فهو منقطع التعلق بما بعده لفظاً دون المعنى. وحكم الوقف على الكافي دون التام جائز كما في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا من كُلِّ أُمَّة بِشَهِيد وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿ ٤١﴾ يَوْمَئذ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (سورة النساء: آية ٤١ – ٤٢). لما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ علي. قال: قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري. قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا}. قال لي: كف، أو

أمسك. فرأيت عينيه تذرفان. "(البخاري. ١٤٠٧هـ، ج٤: ص١٦٧٣)، فالقطع هنا كاف لا تام، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود بالوقف عليه؛ مما دل على جواز القطع على الكافي لصحة المعنى عنده، وانقطاع تعلق المعنى بما بعده، وأن تعلق اللفظ، ورمزه في القرآن (قلى).

ومن أمثلة الوقف التام: الوقف والابتداء عند رؤوس الآيات فهي غالباً مواضع الوقف التام كما في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿ ٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة البقرة: آية ٤-٥)، فموضع الوقف التام عند قوله أولئك هم المفلحون لانقطاع التعلق لفظاً ومعنى، وموضع الابتداء عند الآية التي تليها.

ومن أمثلة الوقف التام في وسط الآيات القرآنية ما يتم فيه المتكلم خطابه معنى ولفظاً ليستأنف متكلم آخر خطابه، والوقف على ذلك من الوقف التام في وسط الآيات كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (سورة النمل: آية ٤٠)

فكلام الجان انقضى عند قوله: (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ) ثم تغير المتكلم بقرينة لفظية دلت على تغيره وهي في قوله تعالى: (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ) ليبدأ حديث سليمان عليه السلام بقوله (قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ). فالقرينة اللفظية دلت على تغير المتكلم والوقف على ما قبلها والابتداء بها يتم المعنى ويكسبه تمام الإعجاز القرآني المتمثل في استخدام أسلوب الالتفاف. وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ (سورة الفرقان: آية ٢٩)، فالوقوف على قوله: ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ من الوقف التام تبعاً لانقضاء كلام الظالم أُبي بن خلف، ثم يقول الله مخاطباً عباده ببيان صفة الشيطان التي يضل بها الإنسان: ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾. ووفق البيان السابق للوقف التام يمكن للباحثة أن تعرفه: بأنه الكف عن القراءة بنفس عند مواضع يتم المعنى بذاته فيها بانقطاع الصلة اللفظية والمعنوية، ويكثر وقوعه عند رؤوس الآيات ونهاية السور والقصص، ويقل وقوعه في وسط الآيات، وحكم الوقف التام جائز.

ثانياً: الوقف الحسن:

ويمكن تعريفه بأنه "هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده"(السيوطي. ١٤١٦ هـ: ص٢٢٣)، ويعني ذلك أن يقف القارئ على موضع الوقف الحسن، فإن أراد الابتداء لم يبتدأ بما بعده بل يلزمه العودة إلى الكلمة التي وقف عندها ووصلها بما بعده.

فهو وقف على ما تم معناه في ذاته، وتعلق بما بعده لفظاً ومعنى، ووجه تسميته بالحسن؛ لكونه يحسن الوقوف عنده لإفادته معنى في ذاته مع تعلقه بما بعده، ورمزه في القرآن (صلى). والوقف على رؤوس الآيات يعد من الوقف الحسن عند بعض العلماء " فقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع عليهن، وإن تعلق كلام بعضهن ببعض لكونهن مقاطع، ولسن بمتشابهات لما كان من الكلام التام في أنفسهن دون نهاياتهن " (المرعشلي. ١٤٠٧هـ: ص١٤٥)، فعن اليزيدي عن أبي عمرو: " أنه كان يسكت عند رأس كل آية وكان يقول: إنه أحب إلي إذا كان رأس آية أن يسكت عندها "(المرعشلي. ١٤٠٧هـ: ص١٤٦)، ومنه الوقف عند موضع يتم فيه ربط الصفة بالموصوف فالفصل بين الصفة والموصوف بالوقوف على الموصوف والابتداء بالصفة لا يتم معه المعنى وتضعف فيه الدلالة. كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الفاتحة: آية ٢)، فالوقف على الحمد لله حسن، لكن حال الابتداء يلزم وصلها برب العالمين؛ لكون الابتداء برب العالمين يؤدي إلى انقطاع المعنى وضعف الأسلوب التركيبي نتيجة الفصل بين الصفة والموصوف؛ فرب العالمين صفة ذات الله التي تدل على كماله؛ مما يجعل كمال المعنى وتمامه واجباً؛ لأنه موصل إلى إدراك كمال الله بهذه الصفة.

ومن أمثلة الوقف الحسن قوله تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأعراف: آية ٣٨)، والشاهد هنا (حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا) فقد ورد فيها قراءة بالوقف على (إذا) والابتداء (اداركوا)، " وقرئ (إذا اداركوا) بقطع الهمزة عما قبلها وكسرها على نية الوقف على ما قبلها والابتداء بها "(العبكري. ج١: ص٥٦٧)، فكسر الهمزة في اداركوا تعطي معنى تعبيرياً أقوى، فالتدارك: التلاحق والاجتماع في النار، وكون الكسر من أقوى الحركات، فكسر الهمزة تدل على الشدة في إدراك الكفار بعضهم لبعض في النار، فهم يساقون بقوة وشدة، يستدعي بيانها في اللفظ، لكي يكتسب المعنى البعد الكامن فيه، والمتضمن في آيات قرآنية عديدة يشير إليه اللفظ المستخدم بكسر همزة اداركوا. وقد يقع الوقف ضمن الآية الواحدة تبعاً لافتراق المتكلم في الخطاب الواحد، فيكون من تمام بيان المعنى تمام الوقوف عند موضع يختلف فيه المتكلم كما في قوله: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (سورة النمل: آية ٣٤)، فكلام الملكة بلقيس انتهى عند قولها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) و أقام المعنى في ذاته، فالوقف هنا حسن، وقوله تعالى: (وكذلك يفعلون) هو حكاية عن خطاب الله سبحانه لكنه متعلق بما قبله لفظاً ومعنى مما يلزم وصله حال الابتداء بما قبله لأن الفصل التام والابتداء بقوله (وكذلك يفعلون) لا يفهم منه معنى ولا يهدي القارئ لمتعلق الخطاب.

ثالثاً: الوقف القبيح: يعرف بأنه: "هو الوقف الذي لا يعرف المراد منه"(المرعشلي. ١٤٠٧هـ: ص١٤٨). أي لا يعرف مراد الله من الآية القرآنية حال الوقف على ذلك الموضع، ويمكن للباحثة أن تعرف الوقف القبيح وفق تعريفات علماء القرآن له، ووفق بيانهم لمواضعه بأنه: الوقف على مواضع ينقطع فيها اللفظ عن متعلقاته اللفظية والمعنوية على نحو يفسد به المعنى لفظاً وحكماً تشريعياً فيتغير مراد الله على نحو يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، فهو بذلك كل وقف ليس بتام ولا حسن. ومن ضمن مواضعه ما جمعها السيوطي (السيوطي. ١٤١٦هـ: ص٢٢٣)، ويمكن عرضها بتفصيل أمثلتها وفق ما يلي:

الوقف على المضاف دون المضاف إليه، بحيث لا يعرف من المضاف إليه، كالوقف على مالك دون يوم الدين في قوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (سورة الفاتحة: آية ٤)، والأقبح منه الوقف على ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾، والابتداء ﴿ إن الله فقير﴾ من قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾(سورة عمران: آية ١٨١). لكونه يفسد المعنى ويقيم القول الباطل ويدس القول الحق عن الظهور والبيان، والحال كذلك في الوقف على قوله تعالى: ﴿ فبهت الذين كفروا والله ﴾، والابتداء بالفصل عند قوله: ﴿لا يهدي القوم الظالمين ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة البقرة: آية ٢٥٨)، فالحكمة التربوية جلية في منع الوقف على مثل هذه المواضع؛ لفساد المعنى بها وإقامته وفق هذا الفساد يقتضي نسبته للقرآن الكريم لفظاً وحكماً، وتعالى الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً تاماً، فلابد من عناية القارئ والسامع بإجتناب الوقف على موضع يفسد المعنى القرآني أثناء تلقيه وتلاوته.

ومن أمثلة الوقف القبيح أيضا الوقف على مواضع ينفصل فيها الحكم الشرعي عما قبله، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (سورة الأنعام: آية ٣٦)، فالوقف على قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ وقف لازم، ولا يصح وصله بالموتى والوقوف عليها؛ لكون الحكم المتعلق بالموتى يفرق عن الحكم الذي يلحق بالأحياء الذين يسمعون خطاب الله ويتلقونه، فالحكم المتعلق بهم هو الاستجابة للحق المسموع واتباعه، والحكم الملحق بالموتى هو البعث بعد الموت ورجوعهم لله تعالى، ولا يصح المعنى ولا يستقيم حال الوقف على (الموتى)؛ لكون حالهم يقتضى انقطاع سماعهم وانتفاعهم بالخطاب الملقى للأحياء فهم لا يسمعون ولا يدركون ما يدرك الحي، فقوله (والموتى) متعلقة بحال مستأنف في قوله تعالى: ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾، فإتيان القارئ بالوقف على الموضع الصحيح

يمكنه من الفهم الجيد للآية القرآنية وفق ترابط اللفظ بالمعنى، ويمكنه من استنباط الحكم الصحيح الذي يقتضى العمل بموجبه، فيؤمن التباس الأحكام الشرعية بعضها ببعض، وهنا فائدة تربوية من وجوب إقامة حدود الله وأحكامه وفق ما أنزل الله وشرع بدقة في الفهم تتجلى بإقامة حروفه وكلماته حال الوقف والابتداء، كما أن هناك فائدة أخرى للتربية اللغوية تقوم على ضرورة وصل الحكم بالحال الذي يقتضي تحقيقه، والعناية بالترابط اللفظي بينهما بحسن الصياغة المعنوية واللفظية حكماً وتطبيقاً لها أثناء القراءة. ومن مواضع ذلك قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (سورة الأعراف: آية ١٧٨)، فالوقف على ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَنْ يُضْلِلْ ﴾ والابتداء ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ يقتضي تغير الحكم الشرعي وفساد التشريع الإسلامي والعياذ بالله، حيث إن القراءة على هذه الصورة تقتضي استواء حال المؤمن والكافر عند الله، وهذا حكم لا يقبله الشرع الإسلامي ويأباه العقل السليم والفطرة الطاهرة، فالافتراق في الأصل العملي والعقدي يقتضي افتراق الجزاء، والشريعة الإسلامية إنما قامت على تحقيق كرامة الإنسانية بإقامة العقيدة السليمة، ولذا فجعل الهداية والضلال متساويين عند الله فساد في الحكم والتشريع والعدالة الربانية وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

*ومن الوقف القبيح الوقف على المنعوت دون نعته: كما في حال الوقف على قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿ ٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾(سورة القصص: آية ٣٣ – ٣٤)، فموضع الوقف القبيح حال وصل (يقتلون) مع (وآخي هارون) حيث أن حال الخوف من القتل متعلق بخوف موسى عليه السلام على نفسه دون آخيه، وأما وصل (وَأَخِي هَارُونُ) بقوله (هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) فهو من وصل النعت بالمنعوت. فالفائدة التربوية من بيان موضع الوقف التام والوقف القبيح تكمن في بيان مراد الله سبحانه وتعالى من ذكر حال موسى عليه السلام وأخيه هارون عليه السلام، الذي كان سبباً لطلب موسى عليه السلام من الله سبحانه وتعالى أن يمنحه مناصرة أخيه ومعاونته له في أمر الرسالة، فمن صفات هارون عليه السلام التي تم استنباطها من صحة الوقوف على الموضع الذي يقيم المعنى أنه كان عليه السلام في مأمن من اعتداء قومه عليه، مما يجعله قادراً على الزود والدفاع عن أخيه، أما بلاغته وفصاحته تساعد موسى عليه السلام في إقامة الحجة. إذن فلابد من العناية بالوقف على الأسماء التي تبين نعوتها كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿ ٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (سورة الماعون: آية ٤ – ٥). فلا يصح الوقف على (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ) فالمصلين اسم محمود لكون حالهم لا يستحق لحوق الويل بهم؛ مما يجعل ضرورة وصله بنعته المتصل به، وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ضرورة لإقامة المعنى الصحيح والوصول لحكم صحيح يلحق بالفئة المنزل فيها.

*ومن الوقف القبيح أيضا الوقف على الناصب دون منصوبه وعكسه: كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (سورة الأعراف: آية ٢٩)، والشاهد في قوله: (وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)، فالدين منصوب بمخلصين ولا يصح الفصل بينهما بالوقف على (مخلصين له)، لكونه يخل بالمعنى وبالصياغة اللفظية، ولا يجلى متعلق الإخلاص للقارئ والسامع لذلك يكون الوقف قبيحاً؛ لكونه لا يجلي المعنى ولا يعقده وفق مراد الله.

*ومن الوقف القبيح الوقف على المؤكد دون توكيده: إن الهدف من استخدام أسلوب التوكيد توثيق المعنى وعقد العزم عليه، ويستخدم مع كل نفس مكذبة بالحق مشككة فيه، لذا فإن فصل المؤكد عن توكيده يضعف المعنى، ويقصر قوة الصياغة اللفظية الدالة على قوة المعنى، ويرفع عنه القوة في تأكيد ما يقتضيه؛ لذا كان الوقف على المؤكد دون توكيده وقفاً قبيحاً لقبح الفعل الحاصل برفع الاعتبار والحكم الحاصل بالتوكيد كما في قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿ ١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ (سورة يس: آية ١٣ -١٤). فالتوكيد في الآية واقع في مخاطبة الرسل لقومهم المكذبين، بأن أكدوا صدقهم بمؤكد لفظي – إنّ– كما في قوله تعالى حكاية عن خطابهم لقومهم: (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ) فالوقف على المؤكد – إنّ –، والابتداء (إليكم مرسلون) يضعف المعنى، ويحول دون جلاء البلاغة القرآنية المعنوية الكامنة في اتفاق الصياغة اللفظية وتناسبها مع الصياغة المعنوية في القوة و الدلالة.

*ومن أنواع الوقف القبيح الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه: إن قطع المعطوف عليه عن المعطوف يخل بالمعنى ويفسده ويقيمه على نحو يتغير به المعنى، ويحمله مالا يحتمل من أحكام وأحوال، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (سورة القصص: آية ٩)، فالوقف على المعطوف (قرت عين لي) وفصلها عن (ولك) ووصل لك بلا (ولك لا) يحول الكلم عن موضعه ويغير المعنى الذي أرادته امرأة فرعون، فامرأة فرعون كانت ترى في موسى عليه السلام الابن الذي تقر به عينها وعين زوجها، وليس لها علم بكونه نبياً لأن الله لم يجلي لها أياً من دلائل النبوة، وفي الوقف على هذا المعنى تحميل للآية معاني لا تحتملها، فكأن القارئ وفق هذا الوقف القبيح يشير إلى أن امرأة فرعون أرادت هذا الابن أن يكون قرة عين لها في تحقيق عاطفتها للأمومة، وقرة عين لها بخلاصها من حكم فرعون لتنبئها بكونه نبياً، وهذا معنى فاسد باطل لا تحتمله الآية فليس هناك أي إشارة لا في هذا الموضع من الآية ولا في أي موضع من آيات القرآن يظهر بيان الله تعالى لامرأة فرعون بنبوة موسى عليه السلام، لذا قرن الله

سبحانه وتعالى بأسلوب العطف بين كون موسى عليه السلام قرة عين لها ولفرعون ليتم وصل الكلام بالحال الذي يقتضيه، ولينفي ما يقتضي غير ذلك. (منصور. ١٤٢٢هـ: ص١٤٠)

*ومنه أيضا الوقف على الموصوف دون الوصف: كما في قوله تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الأعراف: آية ٨)، فالحق صفةً للوزن لا يصح الوقوف على ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ﴾ دون وصلها بالحق الذي هو صفة للوزن، لكونه يقصر المعنى عن مراد الله، ويضيِّع أهم المبادئ التي يقوم عليها الحساب والجزاء يوم القيامة.

*ومن مواضع الوقف القبيح الوقف على إن أو كان أو ظن وأخواتها دون أسمائها، أو على اسمها دون خبرها. فمن أخوات ظن (وجد) التي تفتقر إلى اسمها وتعمل في مفعولين قال تعالى: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ۖ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ (سورة الأعراف: آية ١٠٢)، فالوقف على (ما وجدنا)، والابتداء (لأكثرهم من عهد) يقتضي فصل المتعلقات اللفظية عن بعضها فصلاً يؤدي إلى انقطاع المعنى وفصله عن متعلقاته التي تقيمه.

*ومن مواضعه أيضاً الوقف على المستثنى منه دون الاستثناء: كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة البقرة: آية ٣٢)، فالمستثنى منه (لا علم لنا) والاستثناء (ما علمتنا)، والوقف على (لا علم لنا) ينفي عن الملائكة العلم الكائن لهم من الله، لذا فالوقف هنا من النوع القبيح الذي لا يقيم معه المعنى، وتغطى به الدلالات القرآنية.

*ومن مواضع الوقف القبيح أيضا الوقف على الموصول دون صلته اسمياً أو حرفياً، والوقف على الفعل دون مصدره، والوقف على الحرف دون متعلقه، والوقف على الشرط دون جزائه، وأقبح من هذا الوقف على المنفي دون حرف الإيجاب نحو (لا إله إلا الله) قال تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (سورة الإسراء: آية ١٠٥)، بالوقف على (ما أرسلنك) والابتداء بقوله (إلا مبشراً ونذيراً) فهو نفي لحكم الرسالة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا قبيح لإحالته لمعنى غير المراد ونفي لفظي لحكم مثبت شرعاً.

وبذلك يتضح أن قطع القراءة في مواضع الوقف القبيح تفسد المعنى وتقصره عن تمام مراد الله، وتغير الكلم عن مواضعه بشكل يقتضى تبدل الأحكام الشرعية وفسادها، وإقامتها بشكل لا يتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية ومبادئها وحكمها، فيقع القارئ والسامع في استنباطات ضالة مضللة، فالصحة في الفهم والإدراك والاستدلال والاستنباط الشرعي والتطبيق العملي لا تتم لقارئ لا يحسن الوقف على جوامع الكلم.

وإن تقسيم علم الوقف والابتداء لم يقتصر على تقسيم الأنباري له بل أسهم السجاوندي بتقسيمه وفق مراتب خمس: "لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة" (السيوطي. ١٤١٦: ص٢٢٦). ومن التقسيمات لأحوال الوقف والابتداء تقسيم ابن الجزري حيث يرى: أن الوقف والابتداء وفق التقسيمات السابقة لا يمكن ضبطه ولا حصر أوجهه؛ لذا اتجه إلى تقسيمه إلى قسمين رئيسين: اختياري واضطراري. "لأن الكلام إما أن يتم أولا يتم؛ فإن تم كان اختيارياً؛ وكونه تاماً لا يخلو إما ألا يكون له تعلق بما بعده البتة أي لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى فهو الوقف المسمى بالتام لتمامه المطلق، يوقف عليه ويبتدئ بما بعده ثم مثله بما تقدم في التام"(السيوطي. ١٤١٦ هـ: ص٢٢٦)، وبذلك فإن الوقف الاضطراري: هو الوقف الذي يعرض للقارئ فيضطره للوقوف بسبب عارض ما مثل البكاء، النسيان، انقطاع النفس، العطس ونحوه من الأمور التي تطرأ على القارئ فتضطره لقطع القراءة. وحكمه يجوز الوقف، وإن لم يتمِّ المعنى، وبعد ذهاب الضرورة التي ألجأت القارئ للوقف على هذه الكلمة، فليبتدئ مِمَّا قبلها مِمَّا يصلح البدء به.

أما الوقف الاختياري: هو ما يقصده القارئ باختياره من غير تعرضه لسبب من الأسباب التي تضطره للوقف. وحقيقة إن كافة التصنيفات التي ذهب لها علماء القرآن موافقة للصحة إلا أن أشدها وضوحاً ما جاء بيانه وتفصيله وفق تقسيم الأنباري للوقف وفق ثلاثة أقسام (تام، حسن، قبيح)، حيث جاء الرسم العثماني للقرآن الكريم متفقاً مع هذا التقسيم ليسهل على القارئ معرفة مواضع الوقف والابتداء الصحيحة.

مما سبق يتبن عناية علماء علوم القرآن بعلم الوقف والابتداء كعلم من أهم علوم القرآن التي تؤثر في المعنى القرآني والبيان اللفظي والمعنوي للآيات القرآنية؛ مما يحتم على كل مسلم العناية بتعلمه ليتمكن من فهم ووعي خطاب الله، فيتحقق له المعتقد السليم والعمل الموافق للتشريع الإسلامي فلا يكون عمله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً.

المبحث الرابع: أبعاد التأسيس المنهجي للخطاب التربوي وفق أسس علم الوقف والابتداء.

تم التعرف في المباحث السابقة على أسس علم الوقف والابتداء باعتباره علماً من علوم القرآن يدعم علم التفسير وعلم تجويد القرآن الكريم وعلم الفقه، وفي الحقيقة أن هذه العلم لا يقتصر أثره على مساندة العلوم الشرعية في تحقيق هدفها وإرساء قواعدها بل إنه يغذي علم التربية بأسس تربوية تدعم عملية التأسيس المنهجي للخطاب التربوي، ويغذيه برؤية أصيلة تكاملية للجوانب التي ينبغي أن ينميها الخطاب التربوي كالجانب العقدي، والوجداني، واللغوي والتحسيني، حيث تعد هذه الجوانب مهمة في تكوين الشخصية الإسلامية السامية التي ترتقي بالفرد والمجتمع الإسلامي وكيانه

وتحقق إنسانيته في أعلى مراتبها، ولكي نحسن تأسيس الخطاب التربوي فإنه ينبغي أن نحسن توظيف أساسيات الخطاب القرآني المستقاة من علم الوقف والابتداء، ونبين إسهام قواعده في تنمية القدرات الإنسانية اللازمة لارتقائه في الحياة الدنيا والآخرة.

المطلب الأول: التأسيس العقدي للخطاب التربوي:

تمثل العقيدة الدعامة الأساسية لإقامة التشريعات الإسلامية في النفس الإنسانية والدافع الأقوى أثراً في تعزيز امتثال الجوارح، وكلما كان المعتقد واضحاً وسليماً في تصوراته كلما حصدت التربية ثمار العزة والقوة والمنعة الفكرية والسلوكية منهجياً. فالتأسيس العقدي في الشريعة الإسلامية يرسخ وحدانية الله وتفرده في الألوهية ويرسخ تصورات فكرية عن الموجد والوجود والأمور الغيبية وحقيقة خلق الكون وغايته ونهايته؛ محققاً ذلك بأدلة وبراهين عقلية ونقلية تثبت قدرة الله الإبداعية في الخلق والصنعة المفصح عنها في آيات الكون والأنفس، كما تثبت إعجازه في نظم منهجه التشريعي التربوي المفصح عنه في آيات القرآن الكريم المسير للحياة الإنسانية في نظام يسود كافة المخلوقات وكافة الكون، فنظم القرآن الكريم على وجه معجز وصياغته وفق أسلوب بلاغي وترابط منطقي تندرج فيه المسببات ضمن الأسباب، وتهتدي فيه العقول والنفوس لإدراك الحكم والأسرار؛ لهو غرس إيماني سابر في النفوس يهدف إقامة المنهج القرآني في النفوس وتحقيقه بالتي هي أقوم، وهذا كله إنما يحصده القارئ لكتاب الله من خلال إقامة حروفه ونظم كلماته وفق ما يظهر هذا البيان الإعجازي، فجهل القارئ لمواضع الوقف والابتداء، والتقصير في أداء القرآن الكريم على الهيئة التي أنزل عليها يورث ضعف الإيمان في القلوب ويغطي أنوار الهدى ويحول دون الانتفاع بها؛ لكونه لا يقيم معانيه وبالتالي لا يقيم منهجه التربوي. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء: آية ٩). فالمراد بقوله تعالى: "يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعاً واستمتاعاً بالحياة " (قطب. ١٣٩٩هـ. ج١٥:ص ٢٢١٥)، مما ينبغي على المسلم إقامته وفق نسقه اللغوي والمعنوي، فالوقف على الفواصل الموضوعية؛ لهو تربية عظيمة وشاهد على تمام إعجاز القرآن الكريم وتناسبه الموضوعي، لذا جاء نزول القرآن الكريم على هيئة مفرقة مبينه للحق من الباطل وهذا من إعجاز النظم القرآني الذي يكسب الإيمان قوة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم. قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (سورة الإسراء: آية ١٠٦). وفي بيان مراد الله من الآية فوائد تربوية عميقة، قال الشنقيطي في تفسيرها: "

(فَرَقْنَاهُ) بالتخفيف: أي بيناه، وأوضحناه، وفصلناه وفرقنا فيه بين الحق والباطل، وقرأ بعض الصحابة (فَرَّقْنَاهُ) بالتشديد: أي أنزلناه مفرقاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة، ومن إطلاق فرق بمعنى بيَّن وفصَّل، قوله تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)، وقد بيَّن جل وعلا هذا القرآن لرسوله – صلى الله عليه وسلم– ليقرأه على الناس على مكث أي مهل، وتؤدة، وتثبت، وذلك يدل على أن القرآن لا ينبغي أن يقرأ إلا كذلك، وقد أمر تعالى بما يدل على ذلك في قوله (وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً) "(الشنقيطي. ١٤١٥هـ، ج٣: ص١٨٨)، ووفق ذلك فإنه يجب على كل قارئ لكتاب الله العناية بإقامة البيان التعبيري للقرآن الكريم كي يتضح مراد الله التشريعي، وتقرر الحقائق بحجج واضحة جلية، فهذه الهيئة البيانية للقرآن الكريم تثبت معانيه في النفوس، وتحقق للعقل تدبرها وإدراك أسرار الاستعمال اللفظي والمعنوي لها في القرآن الكريم؛ مما يزيد الإيمان بالله في قلب العبد تلألؤا، ويظهر له صدق نزوله من لدن حكيم خبير. ووفق ذلك فإن الخطاب التربوي لابد أن يؤسس تأسيساً عقدياً بمراعاة القواعد التالية:

أ- تعزيز الخطاب التربوي بالأدلة والبراهين التي تقرر الحقائق الإيمانية والتشريعية، وتثبت سلامة التصورات العقدية مع مراعاة قوة دلالة الأدلة والبراهين على الحقائق، وتناسبها مع مستوى المخاطبين بالحقائق من حيث درجة استسلامهم للحق أو إعراضهم عنه فكل منهما يناسبه نوع من الأدلة سواءً أكانت عقلية أم نقلية أو كانت أدلة تظهر الحق فقط أم كانت براهين وحجج تثبت الحق وتنفيه عما سواه.

ب- صياغة الخطاب التربوي بأسلوب بلاغي من حيث سلامة البناء اللفظي والمعنوي، وترابط منطقي يضم الأسباب لمسبباتها، والعلل لمقتضياتها فكلما كانت الصياغة قوية محكمة بليغة ترابطية كلما حققت تأسيساً عقدياً منيعاً.

ج- قوة البيان لمواضع تمام الخطاب التربوي رسماً ولفظاً، فانقطاع الخطاب عن تمام المعنى، يورث ضعفاً في إقامة الحقائق العقدية ويضعف درجة الاقتناع بالحق.

د- تضمين الخطاب التربوي مظاهر الإعجاز القرآني، فكلما عزز الخطاب التربوي بآيات من الإعجاز الرباني العقلية أو النقلية كلما قوي تأثيره على جانب التأسيس العقدي.

المطلب الثاني: التأسيس الوجداني للخطاب التربوي:

إن رصانة الأسلوب وبلاغة المعنى في التعبير عن المضامين التربوية، والقيم والمبادئ السلوكية تحرك ملكة التأثر الوجداني بالخطاب التربوي، ولقد حرص المنهج القرآني على استثمار الوجدان الإنساني؛ لكونه يمثل القوة المحركة للعمل والامتثال والثبات على الحق. وإن الأداء الجيد للقرآن الكريم بترابط معانيه وتمام بيانها في نسق

مؤتلف الصياغة على الهيئة التي نزل عليها من الإعجاز البياني يربي في الوجدان، التذوق الحسي لجودة الخطاب القرآني التربوي الذي ينهض بحواسه ويستثمر فيها دقائق قدراتها لتكون خالصة لله تعالى نقية له من كل شر وضلال. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (سورة المائدة: آية ٨٣). قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى: (ترى أعينهم تفيض من الدمع) "أن أعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن، وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم إبائهم إياه، وعبر بتفيض من الدمع أي تمتلئ بالدمع، فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها " (العمادي. ج٣: ص٧٢)، ففي تفسير معنى الآية بيان لأبعاد التربية الوجدانية التي تحصد بالأداء الجيد للقرآن الكريم، وفق علم الوقف والابتداء الذي يكسو المعنى روعة البيان للحق ونفوذاً عظيماً للروح، تتناغم فيه مع الخطاب الرباني في تآلف وسكينة تخضع الجوارح لها، ولا ينال المؤمن هذا الخضوع والخشوع أثناء تلاوته للقرآن إن أفسد معانيه بالوقف الخاطئ، أو فصل الخطاب الرباني على هيئة تضيع رونق الحبكة اللفظية والتناغم الأسلوبي. كما أن للأداء اللفظي للحروف والكلمات حال الوقف والابتداء نظماً صوتياً يفترق من حال إلى حال " ونريد بنظام القرآن الصوتي اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته ومداته وغناته واتصالاته وسكتاته اتساقاً عجيباً وائتلافاً رائعاً يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور "(الزرقاني. ١٤١٦هـ: ج٢: ص٢٢٣).

فللنظم الصوتي لآيات القرآن الكريم تأثير قوي على البعد الوجداني النفسي في الإنسان سواءً القارئ أو السامع لخطاب الله سبحانه وتعالى حيث يجمع فيه الإنسان القوة النفسية ويشد انتباهها ويجدد طاقاتها، ولا يحصد ذلك إلا بمعرفة مواضع الوقف والابتداء، فالنغم الصوتي حال الوقف والابتداء في المواضع الصحيحة يفترق عن حال الوصل أو القطع في غير مواضعها، ففي حال الوقف والابتداء على المواضع الصحيحة يتحقق للنفس قوة ترويحية تستدعي استجماع القوة العقلية والقلبية لمواصلة الوعي لخطاب الله تعالى، كما ينمي في الإنسان التذوق الحسي للتآلف المعنوي بين الفواصل اللفظية وشدة التناسب الواقع بينهما والذي ينمي في النفس فوائد الفواصل اللفظية والمعنوية في سائر خطاباتها بحيث يتم التفريق بين المتضادين في السياق والمعنى؛ مما يسهم في توضيح الفروقات الناشئة بينهما ويُجلى عنهما الالتباس ببعضها البعض لفظاً وحكماً، فإن هذا التناسب بين الفواصل ينعكس على سلامة الأسلوب والتعبير والنظم الصوتي الذي يكسى الخطاب رصانة وقوة، ويضفي عليه البلاغة؛ ووفق ذلك فإن الخطاب التربوي ينبغي أن يُؤسس وفق ما يحقق التآلف والاتساق المعنوي بين الفواصل اللفظية، مع مراعاة بلاغة الصياغة اللغوية لأطراف الخطاب بإخراجها وفق

نظام صوتي متناغم مراعياً الحركات والسكنات ودورها في قوة وقع المعنى في النفوس كي يجذب الطاقة الوجدانية ويحركها اتجاه مضامين الخطاب التربوي.

المطلب الثالث: التأسيس اللغوي للخطاب التربوي:

إن إعداد الإنسان لغوياً يعد مهمة تربوية أساسية لكون اللغة تمثل الوسيلة الأساسية والعليا للتواصل الإنساني سواءً أكانت لغة مكتوبة أم كانت مسموعة أم كانت لغة مجسدة في تعبيرات جسدية، و باختلاف أنواعها تعد اللغة وعاء الفكر لنقل الثقافات من جيل لآخر ومصدراً لتنمية العقل، فالعناية بها عناية بالبناء العقلي للإنسان ومنطلق لعملياته العليا. وإن علم الوقف والابتداء علم يُقَوّم اللسان، ويرسي للتربية اللغوية قواعد منهجية لتأسيس الخطاب التربوي وفق منهج التربية الإنسانية الخالد منهج القرآن الكريم ذي اللغة بالغة البيان معجزة البرهان، ويمكن عرض أهم أبعاد التأسيس اللغوي للخطاب التربوي وفق ما يلي:

١- تعليم منهجية القراءة السليمة:

تعد القراءة أداة التعبير للفكر فهي " نشاط فكري يشتمل على الحروف والكلمات والنطق بها صحيحة، والفهم والتحليل والنقد والتفاعل مع المقروء وحل المشكلات والصحة النفسية " (السيد. ١٩٨٨م: ص١٤٤)، وللقراءة منهجية تعتمد عليها يعبر عنها في العصر الحالي بمهارات القراءة، وتقصد الباحثة بمنهجية القراءة في القرآن الكريم: الطريقة المستندة لمجموعة من القواعد والأساسيات التي ينبغي على القارئ أن يعتني بها حال قراءته لكتاب الله ليستضيء عقله بأنوار الهدى الرباني، ويستقيم بها المعنى، ويبلغ المراد مقصده في الروح وكافة الجوارح لتكون منهجاً له مطبقاً في سائر خطاباته الإنسانية.

ولقد اهتم المنهج القرآني بتوضيح منهجية القراءة منذ بدأ نزول الوحي حيث كان أول أمر يتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من الله الأمر بالقراءة وفق منهجية معينة. قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (سورة العلق: آية ١) . لقد جاء الأمر بالقراءة عاماً، والعموم يفيد الشمول، لكن هيئة القراءة هي المقيدة، أي لتكن قراءتك مهتدية بمنهج الله تعالى المتمثل في صحة التلقي من حامل الوحي؛ فمعنى الآية " اقرأ القرآن مفتتحاً باسم ربك أو متبركاً باسم ربك، وموضع "باسم ربك" نصب على الحال، ولذا كان تقديره مفتتحاً، فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بقول بسم الله الرحمن الرحيم، أو يريد الابتداء باسم الله مطلقاً "(الغرناطي الكلبي. ١٤٠٣هـ: ج٤: ص٢٠٨)، ووفق هذا البيان، يرشد الله عباده لضرورة الاستفتاح باسم الله تعالى عند تلاوة القرآن الكريم؛ ليحصل للعبد الوقاية المعنوية والمادية من كل شاغل يصرف قواه العقلية عن وعي خطاب الله، وليكون في حرز منيع من الشيطان الذي يتصدى له حال تلاوته للقرآن

الكريم، مانعاً إياه من الاهتداء والانتفاع بالمنهج القرآني الذي يوجه كافة جوارحه للحق والهدى، فالبسملة تهيئة وتنقية ووقاية لفؤاد الإنسان وإيذاناً بطلب البركة وحلولها في كافة الخطابات التربوية. إلا أن الأمر بالقراءة بقوله: (أقرأ باسم ربك) لها بعدٌ توجيهيٌ يتمثل في ربط هدف القارئ لكتاب الله بطلب الهداية وتنقيته من المعتقدات السابقة والأهواء الذاتية، والتي لن تحصل له إلا إذا تمت قراءته على هيئة صحيحة بإعطاء الحروف والكلمات حقها، وصحة صلتها بمتعلقاتها لفظاً ومعنى، وهذا هو صنوان علم الوقف والابتداء وذخيرة علمه، فتألف المعنى لا يتحقق إلا بمعرفة المواضع الصحيحة للوقف والابتداء التي تقيم المعنى وتجلو مراد الله للقارئ، وبذلك فقراءة القرآن الكريم وفق قاعدة منهجية تدعم قواعد القراءة الصحيحة أمر يوجه آفاق العقل الإنساني ويغذي بناءه الفكري، ويجمع له المعرفة اليقينية التي هي صنوان التقدم والتطور والإبداع، والرقي والوعي والحضارة.

وإقامة القراءة الصحيحة وفق المنهجية المستنبطة من الوحي تحقق للقارئ بعداً تربوياً يتمثل في رفع الشك باليقين، وضرورة طلب المعرفة اليقينية ودلائلها والتي تعتبر أعلى أنواع المعارف الإنسانية والتي لا ينالها الإنسان بعقله المجرد لافتقارها لقواعد معرفية تمثل عماد المعارف التي نشأت عليها، والتي لا تستقى إلا من علم الله سبحانه وتعالى العليم الخبير بمبادئ النشأة لعناصر الحياة الإنسانية ومكوناتها. قال تعالى: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (سورة يونس: آية ٩٤)، فالخطاب من الله جاء بسنن مطردة وقوانين كونية وشرعية ثابتة عرفتها وأدركت دقائقها الإنسانية على مر العصور ولم تأت بشيء يخالف ويتعارض مع ما هو مدرك معلوم في صفحة الكون ولا مع ما جاءت به الكتب السماوية الأخرى، "والممتري هو الشاك لأنه مفتعل من المرية وهي الشك وعلى هذا القول فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد منه نهى غيره عن الشك في القرآن، فمعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيئاً من ذلك ولكن الله يخاطبه ليوجه الخطاب إلى غيره في ضمن خطابه صلى الله عليه وسلم " (الشنقيطي. ١٤١٥هـ، ج٢: ص٣).

فالذي يقرأ القرآن الكريم يعلم بصدقه ويتجلى له اليقين إن أقام ألفاظه بهيئة تقيم معانيه، وعلم مواضع الكلم منه التي يتم فيها المعنى. فإن إقامة الحروف وإعطاء القراءة حقها من البيان والتوضيح لمعاني الأفكار ومحاور الموضوع المعرفي الذي يدور عليه الخطاب الرباني تحقق المعرفة اليقينية التي هي أساس لاستقامة العبد في مناظراته مع المجادلين له بالباطل. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (سورة الحج: آية ٨). كما أن صحة الوقف والابتداء تحمي المسلم من اللبس وكتمان الحق. قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ

بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران: آية ٧١)، ولبس الحق بالباطل واقع من القارئ لكتاب الله إن لم يحسن الوقف على المواضع التي تجلو الحق وتبينه وتفرقه عن الباطل، حيث يبين ابن الجوزي معنى اللبس قائلا: "إظهار الباطل في صورة الحق "(ابن الجوزي. ص٣٧). وتربية المسلم على بناء خطابه التربوي وفق هذه القاعدة اللغوية والسلوكية أمر في غاية الأهمية لضمان سلامة تواصله الفكري مع أبناء أمته، ومع الآخر المخالف له في العقيدة ولضمان تحقيق خطابه التربوي للغاية المنشودة منه بحيث تكون كافة خطاباته مبينة للحق، مميزة له عن الباطل وفق نسق لغوي قويم رصين في بيان معانيه ووفق تعبيره عنها بدقة في القراءة والأداء.

٢- تعليم مهارات الكتابة:

إن الكتابة تمثل النوع الثاني من سبل التواصل الإنساني، والتبادل المعرفي، ونقل الثقافات وحفظها وفق الهيئة التي تكفل حفظ معانيها وبيان مرادها، لذا امتن الله على عباده بتعليمهم بوسيلة القلم " لأن الكتابة من أعظم نعم الله على عباده ولهذا امتن تعالى على عباده بتعليمهم بالقلم "(السعدي. ١٤٢١هـ، ج١:ص١٣١). قال تعالى: ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ (سورة العلق: آية ٤)، ويوضح السعدي مراد الله من الآية بقوله: " فإنه تعالى أخرج الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئاً وجعل له السمع والبصر والفؤاد ويسر له أسباب العلم فعلمه القرآن وعلمه الحكمة وعلمه بالقلم الذي به تحفظ العلوم وتضبط الحقوق وتكون رسلاً للناس تنوب مناب خطابهم"(السعدي. ١٤٢١هـ، ج١:ص٩٣٠). مما يجدر تعلم مهارة أداء الخطابات التربوية الشرعية وصياغتها بوضوح في الفكرة، وبلاغة في التعبير، وقوة في الدلالة المعنوية للأفكار وترابطها وتسلسلها في نسق تتألف فيه الحروف والكلمات وتتصل فيه متعلقات الألفاظ ببعضها البعض، وإن تعلم المسلم لعلم الوقف والابتداء ينمي لديه إتقان الصياغة الجيدة لخطاباته، والبلاغة اللفظية والمعنوية في التعبير عن أفكاره، والعناية ببيان الفواصل اللفظية والمعنوية التي تجلي للعقول الوعي والفهم للمعارف وقواعدها ومتعلقاتها. كما ينمي فيه اختيار اللفظ التعبيري المتناسب مع المعنى وتضمينه في خطابه بشكل يقيم الفكر ويجلى المراد في نسق مترابط متآلف غير منقطع في بيانه التعبيري. "فمن الواضح أن تنظيم السطور ومراعاة التناسق يعد من مهارات الكتابة، فهي تسهل على القارئ فهم المكتوب وتعبر عن المعنى بدقة"(الحارثي. ١٤٢٨هـ: ص١٦٤)، ويدل على أهمية التنظيم الفكري والترابط المعنوي في صياغة الخطابات قوله تعالى: ﴿ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴿٢﴾فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾(سورة الطور: آية ٢-٣). أي " مكتوب على وجه الانتظام، فإن السطر ترتيب الحروف المكتوبة "(العمادي. ج٨: ص١٤٦). فالتنظيم المنطقي للأفكار والألفاظ وتسلسلها لفظاً ومعنى، وأدائها وفق هذا التنظيم يكسب الخطاب رونقه ويبلغ المعنى تمامه، وهذا ما ينميه علم الوقف والابتداء. وبذلك يبلغ

المرء السداد في القول قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠)، فالقول السديد، هو الحسن في هيئته، ومضمونه، وهو المستقيم الذي لا عوج فيه لا لفظاً ولا حكماً بانحراف به عن الحق وإقامته.

٣- تنمية الاستماع الفعال والارتقاء بالحساسية الفكرية اللفظية للمعنى:

ينمي علم الوقف والابتداء مهارة الاستماع الفعال بتغذية العقل بحساسية فكرية لفظية للمعاني ومدى تناسبها الأسلوبي في التعبير عن الفكر، بشكل يتمكن فيه السامع من استيعاب الخطاب الرباني ووعيه وإدراك معارفه.

وإنما يتكون التذوق الحسي والسماعي لدى السامع والقارئ بإقامة الحروف والكلمات وفق ما يقيم معناها، ويوضح دقائقها التعبيرية في نسق متآلف مترابط متصل الصياغة التعبيرية، بحيث إن وقع الانقطاع في اللفظ تنبه السامع، وهذا ما يجده المحافظ على تلاوة القرآن الكريم والمداوم على استماعه، حيث يجد في نفسه قوة ترشده لمدى صحة الصياغة الأسلوبية للمعنى؛ لذا ربط الله تعالى بين حاسة السمع وبين تحصيل المعارف والعلوم ووعيها بشكل سليم. قال تعالى: ﴿ نَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ (سورة الحاقة: آية ١٢). " (أذن واعية) أي أذن من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به، والتنكير للدلالة على قلتها، وأن من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير"(العمادي. ج٩: ص٢٣)، فوعي الأذن يتطلب استماعاً دقيقاً وناقداً يحلل البيان اللغوي مبتغياً الاهتداء والانتفاع به والوصول لأسرار وحكم الآيات والتي لا تبلغ إلا بالإنصات؛ لذا أمر الله تعالى بالإنصات والخشوع حال الاستماع للقرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الأعراف: آية ٢٠٤). فالاستماع هو "الإنصات عند سماع تلاوة القرآن بإمعان وانتباه وروية لإدراك ما يسمع، وبذلك تتضح الرؤية " (آل سالك. ١٤٢٥هـ: ج١: ص٣١)، ويحصل الاهتداء بتشريعاته وعلومه.

وبعد توضيح قواعد التأسيس اللغوي لعلم الوقف والابتداء فإنه من الأهمية عرض بعض من الفوائد التربوية اللغوية لمنع الوقف على بعض من الألفاظ في القرآن الكريم؛ لكون الوقف في هذه المواضع يفقد المعنى قوته البيانية بخلاف الوصل الذي يكسب المعنى قوة في الدلالة على المراد؛ فلكي يتضح الأثر التربوي لأهمية علم الوقف والابتداء ويتقرر لدى مؤسسي الخطاب التربوي ضرورة مراعاة بعض من الأحكام اللغوية المتصلة ببعض الأفعال حال الوقف والابتداء ومنهجية إعطاء اللفظ قوة في المعنى؛ فإنه يبغى التعرف على هذه المواضع وفق ما يلي:

اللفظ الأول: منع الوقف الاختياري على فعل يكون حال الجزم:

يكثر استخدام فعل (يكون) في القرآن الكريم في موضع الجزم وتسقط النون من أخره ولقد منع الوقوف الاختياري في هذه الحالة؛ لكونه يغير المعنى ويضعف الصياغة. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(سورة النحل: آية ١٢٠)، إن صياغة اللفظ لابد أن تأتي موافقة للمعنى في القوة والضعف، فصياغة فعل (يكون) في حالة الجزم فيه تأكيد المعنى وثبوته وانتفاء نقيضه انتفاءً تاماً، والإتيان باللفظ على صفة تخرجه عن بلوغ المعنى الذي أراده الله فيه قصور بالمعنى، ومن ذلك الوقف على لفظ (يكون) في حالة الجزم حيث تغير صفة أداء اللفظ وتغير المعنى تبعاً لذلك، وتقصر بيان مراد الله الكامن في إعجازه اللفظي. فحالة الوقف على فعل يكون الجازم والذي يلفظ على نحو (يَكُ) يصبح (يكون)؛ مما يخرج اللفظ عن التميز في المعنى ويعيده إلى المعنى الأساسي، فصياغة اللفظ على نحو قوي يعكس معنى جديداً ويقوي المعنى ويكسبه تميزاً. وأمثلة ذلك في كتاب الله كثيرة منها: إثبات جريان سنة الله وانتفاء تغيرها وتبدلها عن الحال المماثلة باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(سورة الأنفال: آية ٥٣)، ومنها انقطاع قبول الإيمان بوقوع عذاب الله. قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة غافر: آية ٨٥)، ففي الأمثلة السابقة إظهار البلاغة القرآنية ودقة التعبير الذي يكسب المعنى بعداً تربوياً جديداً وواسعاً بحيث لو بدلت الصياغة لما أوفت بهذه الأبعاد القيمة.

اللفظ الثاني: افتراق بلى في الدلالة المعنوية في حال الوقف والابتداء ودلالاتها التربوية: وردت كلمة بلى في اثنين وعشرين موضعاً من القرآن منها ما يجب الوقوف عليها؛ لكونها جواباً لما قبلها غير متعلق بما بعدها، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة: آية ٨٠- ٨١)، والقسم الثاني مالا يصح الوقوف عليها لتعلق ما قبلها بما بعدها معنى ودلالة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (سورة الأنعام: آية ٣٠). فهذه الأحوال اللفظية ينبغي توجيه عناية القارئ للنظر في المواضع المناسبة للوقف والتي يتم فيها المعنى حال وقفه وابتدائه مع ضرورة عدم قطع اللفظ عن متعلقاته التي تجلى المعنى وتكسبه القوة في الدلالة.

المطلب الرابع: التأسيس العلمي الفكري:

يتحقق التأسيس العلمي الفكري للخطاب التربوي وفق أسس علم الوقف والابتداء وفق عدة قواعد يمكن بيانها فيما يلي:

١- إن أسلوب التلقي معتبر في تعلم القرآن الكريم ومعرفة مواضع الوقف والابتداء، وهو أسلوب ينمي مهارة الاستماع الفعال، والإنصات الجيد المتقن، والتي تسهم في بناء التفكير بناءً جيداً قائماً على إدراك الترابط المنطقي في الصياغة اللفظية والمعنوية، التي هي شرط لقبول العقول اليقظة للخطاب ومضامينه؛ مما يجعل هذا الغرس في العقول المؤمنة طريقاً للسلامة من كل فكر دخيل ضعيف الدلائل والبراهين سواءً أكان دخيلاً على أمورهم الدينية أم الدنيوية.

فتربية الجيل المسلم وفق هذه المهارة لهي تربية لعقولهم على اليقظة والتنبه والدقة في تلقي الخطابات وإعدادها بحيث يكون الخطاب قوياً في بنائه اللفظي والمعنوي، مترابط الفكر ظاهر البرهان سليماً في ربط الأسباب بمسبباتها؛ لكون هذا الترابط المنطقي ضرورياً لإقامة المعنى بدلائل معتبرة وعلل متناسقة.

٢- تربية الأمانة في النقل والأداء لكل خطاب سواءً أكان من الله سبحانه وتعالى وهو أعلى مراتب الأمانة العلمية، أم على مستوى الخطابات البشرية، فسوء النقل للخطاب أضحى ظاهرة في الوسط الاجتماعي بمختلف مجالاته – إلا ما رحم الله – يترتب عليه الفساد والإفساد، مما يجعل من الضرورة تنمية مهارة صحة النقل والأداء لدى المربين والمتربين؛ لكون الخطاب يتأثر معناه ودلائله تبعاً لذلك، وأن انقطاعه عما يتمم معناه ويقصر به عن إبلاغ وبلوغ مراد المتحدث؛ لهو خلل في أمانة الناقل تنعكس عليه وعلى مجتمعه بالضرر وتوقعهما في الهلاك والإثم. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (سورة الأحزاب: آية ٧٢)، فتعلم الأسلوب الصحيح في نقل الكلام الذي يجلى المعنى ويصفى العقل من التوهم الحادث من عدم ترابط الحديث المنقول يعد تربية فكرية على الدقة في التعبير والصياغة الرصينة التي تجلو الفكرة للقارئ وتوضح مراد المتكلم، فالرسالة الإسلامية خالدة يلزم من معتنقيها أداؤها تامة اللفظ والمعنى.

٣- صحة الاستدلال والاستنباط للأحكام الشرعية: إن معرفة مواضع الوقف والابتداء تكفل للقارئ صحة الاستنباط والاستدلال للأحكام الشرعية وحكمها، فقطع اللفظ التعبيري للمعنى حال الوقف على مواضع تفسد المعنى الاستدلالي تبعاً لفصل متعلقات اللفظ عن بعضها البعض؛ تُضعف ترابط الأفكار واتحادها، ويُورث تعارض أحكام الشريعة مع مقاصدها، ويوقع التناقض والاختلاف بين تشريعات المنهج القرآني. قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾سورة النساء: آية ٨٢ – ٨٣)، فقد نفى الله سبحانه وتعالى عن كتابه التناقض اللفظي والمعنوي " ومخالفة بعضه لبعض بالتفاوت في النظم والبلاغة، بحيث يكون بعضه بالغاً حد الإعجاز وبعضه قاصراً عن ذلك " (زيلعي هندي. ١٤٣٠ هـ: ص١٥)، مبيناً بذلك الصفة التي جاء عليها من نسق محكم، وقوة بلاغية تجلو مراد الله سبحانه وتعالى وتظهر تآلف معانيه؛ مما ينبغي على القارئ تلاوته وأداؤه وفق تناسق الألفاظ والمعاني، والعناية بالوقف في مواضعه الصحيحة التي تكفل لهيئته الإعجاز ورصانة الأسلوب و دقة الفهم عن الله وصحة الاستنباط لتشريعاته، كما ينبغي على مؤسسي الخطاب التربوي العناية بتحقيق هذه القاعدة كي تكون استنباطاتهم واستدلالاتهم صحيحة قوية الارتباط بالمضامين المعنوية التي يفيدها النص الشرعي.

٤- الأمن من تحريف الكلم عن مواضعه: يعتني علم الوقف والابتداء ببيان مواضع تمام المعنى ويجلى مواضع الكلم، والتي إن جهلها القارئ وقع في إثم تحريف المعاني القرآنية، وفسدت صحة الاستدلال للأحكام المتضمنة في الآيات؛ مما يورث تحميل الآيات مالا تحتمل من معاني؛ تبعاً لتحريف مواضع الوقف عن بلوغ التمام المعنوي واللفظي، فقوة وصحة الاستشهاد بالآيات القرآنية تكمن في قوة وصحة الفهم لمعنى ومراد الله من الآيات. قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة المائدة: آية ١٣)، فتبديل مواضع الكلم ضلال وإضلال، وسبب يورث قسوة القلب وفساده، والعاقبة السيئة لمن فعل ذلك في الدنيا والآخرة، ولقد بين الله في موضع آخر من كتابه أن أهل الإيمان الصادق، وأهل النجاة والفوز هم الذين يتلون الكتاب حق تلاوته. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة البقرة: آية ١٢١)، وبيان قوله (يتلونه حق تلاوته) "أي يقرؤنه كما أنزل الله ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يتأولونه على غير الحق "(الشافعي. ١٤٢١هـ: ج٤: ص٣٠)، فالقراءة الصحيحة والاعتناء بإقامة الكلم وفق مواضعه التي تقيم المعنى يحقق للقارئ التأويل الصحيح والاستدلال القويم بالآيات، وبذلك ينمو تفكير المسلم ببناء معرفي سليم الأركان وتصورات صحيحة غير فاسدة.

٥- الانتفاع بالمنهج القرآني وجعله منهج الحياة: إن الغرض من نزول القرآن الكريم هداية الثقلين لتطبيق منهجه في الحياة بجعله دستور الرقي والنماء الأمثل للكيان الإنساني. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ

اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة الزمر: آية ١٨)، فالإتباع يتم بمعرفة الإنسان للحسن والقبيح من الأفعال والأقوال بقوة التحليل العقلي للألفاظ والمعاني القرآنية، فالحسن من القول ما دل على الحق وأقامه بحسن الصياغة التعبيرية والترابط المنطقي للأفكار والمعاني وبذلك يحصل الاتباع إن تم المعنى في نفس القارئ والسامع وتمكنا وفق هذا التمام من الوعي والبصيرة للحق، وإن تمام المعاني القرآنية تكمن في مواضع الوقف الصحيح التي تبلغ فيها المعاني بيان المراد منها، ولكي يكون الخطاب التربوي مصدر هداية للمتربين فإنه ينبغي تأسيس أركانه الفكرية واستقاء دلائلها من العلم الرباني الكامن في الوحي بتحقيق تمام الفهم لمضامينه ليكون منهجاً للحياة بأسرها.

٦- تعلم الحكمة: إن أبلغ تربية لعلم الوقف والابتداء هي تنمية الحكمة في نفوس المتربين وعقولهم. قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة البقرة: آية ٢٦٩)، " والمراد بالحكمة معرفة أسرار الشرع ووضع الأشياء في مواضعها"(السعدي.١٤٢١هـ: ج١: ص١٣١)، وعلم الوقف والابتداء يربي العقول ويوقظ فيها وضع الكلم في موضعه، بشكل يورث معرفة مراد الله ويكشف أسرار كتابه العزيز وحكم أحكامه التشريعية، والخطاب التربوي أن لم يُعزز ببيان حكم التشريع وأسراره كان ضعيفاً عن بلوغ الحكمة وقوة الإقناع بالحقائق التشريعية.

المطلب الخامس: تأسيس الخطاب التربوي للجانب التحسيني.

جاءت الشريعة الإسلامية بتشريعات متنوعة من حيث الجوانب التي تتصل به (عقدية، خلقية، عقلية، تعبدية) وأوجدت التنوع في كل جانب بتنوع التكاليف الشرعية من حيث الحكم الشرعي فمنها ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية، ومنها ما هو سنة، ومنها ما هو مكروه، ومنها ما هو محرم. وإنما وقع هذا التنوع تبعاً لتباين القدرات الإنسانية من فرد لأخر ومن وقت لأخر؛ مما يكسب التشريعات المرونة في التطبيق ويمكن الفرد من الثبات على الامتثال بحسب ما يتناسب مع قدراته، كما يربيه على طلب الاستزادة من الخير عن طريق الامتثال للسنن، والتنزه من القبائح عن طريق الحذر من المكروهات، ولذلك كان التشريع الإسلامي يتوافق مع القدرات الإنسانية ولا يتحداها قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة البقرة: آية ٢٨٦)، فالتشريعات الواجبة على كل نفس تهدف حفظ الضروريات الخمس (الدين، النفس، المال، النسل، العقل)، وأما التشريعات التحسينية التي يسن ويستحب فعلها، فإنها تهدف إضافة رونقاً وجمالاً على

عملية حفظ الضروريات الخمس، وتنميها على وجه يحسن النفس والدين والخلق، ويحسن حياة الفرد والمجتمع، ويرتقي بجودة الامتثال، فتربية المسلم على محبة طلب الأمر الحسن والمستحسن يجمل روحه ويكسبها رونق التميز والإتقان في أداء منهج الله سبحانه وتعالى، فالأمر والتشريع الحسن يقود النفس للعلو بها لمرتبة محبة التقرب لله بكافة تشريعاته وعدم الاقتصار على الواجب منها، مما يجعل من سمو النفس لمحبة الخير أمراً واسعاً يطوق حياته بأسرها. ولقد أسهم علم الوقف والابتداء في تغذية الجانب التحسيني من خلال بيان مواضع الوقف الحسن في كتاب الله التي تزيد المعنى رونقاً وإشراقاً في الروح والعقل، فهي مواضع يتم فيها المعنى وقفاً ووصلاً إلا أنه يحسن الوقوف عليها؛ لكون الوقف عليها يزيد المعنى بلاغة وقوة في النفس الإنسانية. ووفق هذا النهج فإن المسلم ينتهج التميز والإتقان في أداء الأمانة المكلف بها ابتداءً من قراءته لكتاب الله ومن ثم في تطبيقه للشرع المنزل فيه، مما يعلو بإيمانه بقيمة التشريعات التحسينية، وأهميتها في الارتقاء بكافة جوانب الحياة والارتقاء بجودة عمل المكلفين. وهذا يحتم على المربين أن يؤسسوا الخطاب التربوي وفق ما يكفل دعوة النفس للاستزادة من الشرائع التحسينية كي تقوى عزيمة المتربين للرقي في سلم التقرب لله تعالى، فتزداد حياتهم سعادة وطمأنينة في الدارين، كما ينبغي أن يتضمن الخطاب التربوي بدائل تربوية مرنة تتناسب مع مختلف القدرات الإنسانية؛ ليكون أدعى للثبات على الامتثال.

الخاتمة.

الحمد الله منزل الكتاب، مُفصل الخطاب، مجلي الأوهام عن الأفهام بتمام البيان للمعاني والعبارات، والصلاة والسلام على سيد البشر محمد بن عبد الله المعلم الهادي للبشرية بأنوار المنهج الإسلامي مقيمه وفق إعجازه البياني والبلاغي والتشريعي والعلمي أما بعد..

اتضح من خلال الدراسة لعلم الوقف والابتداء وارتباطه بالخطاب التربوي أنه علم ذو أسس منهجية أصيلة شاملة متكاملة متوازنة تسهم في الارتقاء بجودة الخطاب التربوي وتأسيسه على أركان مهمة تدعم عملية التنمية لجوانب الشخصية الإنسانية و قدراتها ودعم خطى سيرها على الطريق المستقيم؛ فلكي يجني الخطاب التربوي ثماره ويحصد وصول المتربين لغايته الكبرى فإنه ينبغي على المربين مراعاة تحقيق هذا التكامل المنهجي.

ولقد توصلت الباحثة من خلال بحثها لمجموعة من النتائج التي تدعم عملية التأسيس المنهجي للخطاب التربوي يمكن بيانها وفق ما يلي:

أهم النتائج:

١- يدعم علم الوقف والابتداء التأسيس المنهجي للخطاب التربوي بأسس أصيلة.

٢- يتوقف صحة بيان مراد الله وتمام معاني خطابه على صحة الأداء للوقف والابتداء.
٣- علم الوقف والابتداء علم توقيفي لا سبيل للعقل للاجتهاد في تحديد مواضعه، إنما ينال العلم به عن طريق التلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم.
٤- إن القاعدة الشرعية لمواطن الوقف والابتداء الصحيحة تقتضي تمام معنى الآيات القرآنية وفق مراد الله وصحة التشريعات الإسلامية.
٥- يرتقي علم الوقف والابتداء بتأسيس الجانب العقدي في الخطاب التربوي من خلال بيان أسس الإعجاز البلاغي والبياني للقرآن الكريم وتناسبه الموضوعي.
٦- يسهم علم الوقف والابتداء في تأسيس الجانب الوجداني في الخطاب التربوي من خلال تنمية التذوق الحسي لجودة الخطاب لدى المخاطبين الذي ينهض بحواسهم ويستثمر فيهم دقائق قدراتهم.
٧- إرساء علم الوقف والابتداء قواعد التأسيس اللغوي للخطاب التربوي على نحو يقوي ثمرة التواصل الإنساني.
٨- يرتقي علم الوقف والابتداء بتأسيس الجانب العلمي الفكري في الخطاب التربوي بتقعيده لقواعد العمل العقلي.
٩- يؤسس علم الوقف والابتداء الجانب التحسيني في الخطاب التربوي ويدعم رقيه في نفوس الناشئين.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم وعلومه:

١- الزرقاني، محمد عبد العظيم. (١٤١٦هـ). مناهل العرفان في علوم القرآن. لبنان: دار الفكر.
٢- الزركشي، محمد بهاد. (١٣٩١هـ). البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار المعرفة.
٣- الشنقيطي، محمد أمين. (١٤١٥هـ). أضواء البيان. ت: مكتب البحوث والدراسات. بيروت: دار الفكر للطباعة.
٤- الشوكاني، محمد علي. (د.ت). فتح القدير. بيروت: دار الفكر.
٥- العابدين، ابن حنيفة. (١٤٢٧هـ). ط١. منهجية بن أبي جمعة الهبطي في أوقاف القرآن الكريم. دار الإمام مالك.
٦- الغرناطي الكلبي، محمد بن أحمد. (١٤٠٣هـ). ط٤. التسهيل لعلوم التنزيل. لبنان: دار الكتاب العربي.
٧- المحلي، محمد بن أحمد. السيوطي، عبد الرحمن. (د.ت). تفسير الجلالين. القاهرة: دار الحديث.
٨- كاتبي. محمد مأمون. (١٤٢٧هـ). ط٢. إرشاد القارئين إلى مناهج وطرق تدريس الكتاب المبين. البحرين: مركز الغراس المثمر لتحفيظ القرآن وتدريس علومه.
٩- آل سالك، أحمد منصور. (١٤٢٥هـ). فتح من الرحيم الرحمن في بيان كيفية تدبر كلام المنان: المكتب الإسلامي لإحياء التراث.
١٠ – الداني الأندلسي، أبي عمرو وعثمان.(١٤٠٧هـ). ط٢. المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله العزيز. ت:يوسف المرعشلي. بيروت: مؤسسة الرسالة.
١١ – الرازي الشافعي، فخر الدين. (١٤٢١هـ). ط١. التفسير الكبير، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٢ – السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (١٤٢١هـ). تفسير السعدي. ت: ابن عثيمين. بيروت: مؤسسة الرسالة.
١٣ – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (١٤١٦هـ). الإتقان في علوم القرآن، ت: سعيد المندوب. لبنان: دار الفكر.
١٤ – العبكري، أبي البقاء عبد الله. (د.ت). التبيان في إعراب القرآن، ت: علي البجاوي. دار عيسي البابي الحلبي.
١٥ – قطب، سيد. (١٣٩٩هـ). ط٨. في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق.
١٦ – المناوي، عبد الرءوف. (١٣٥٦هـ). فيض القدير. مصر: المكتبة التجارية.

١٧ – منصور، عبد القادر. (١٤٢٢هـ). ط١. موسوعة علوم القرآن. سوريا: دار القلم العربي.

ثانياً: كتب السنة النبوية:

١- البخاري، محمد إسماعيل.(١٤٠٧هـ). ط٣. صحيح البخاري. ت: مصطفى البغا. بيروت: دار ابن كثير.
٢- الترمذي، محمد بن عيسى. (د.ت). سنن الترمذي. ت: أحمد شاكر. بيروت: دار إحياء التراث.
٣- الخطابي، حمد محمد. (١٤٠٧هـ). غريب الحديث. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
٤- الرازي، محمد. (١٤١٥هـ). مختار الصحاح: بيروت، مكتبة لبنان.
٥- السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود. (١٣٨٨هـ). ط١. سنن أبي داود، ت: عزت عبيد الدعاس. بيروت: دار الكتب العربية.
٦- الشافعي، محمد بن إدريس. (د.ت). مسند الشافعي. بيروت: دار الكتب العلمية.
٧- الشيباني، أحمد بن حنبل. (د.ت). مسند الإمام أحمد بن حنبل. مصر: مؤسسة قرطبة.
٨- النيسابوري، محمد بن عبدالله. (١٤١١هـ). المستدرك على الصحيحين. ت: مصطفى عطا. بيروت: دار الكتب العربية.
٩- النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (١٣٧٤هـ). ط١. صحيح مسلم. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية.

ثالثا: المراجع العلمية:

١– ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن. (د.ت). تلبيس إبليس. بيروت: دار الكتب العلمية.
٢– السيد، محمود أحمد. (١٩٨٨هـ). تعلم اللغة بين الواقع والطموح. دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
٣– فوده وآخرون، حلمي محمد.(١٤١١هـ). ط٦. المرشد في كتابة البحوث. جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع.
٤– النحلاوي، عبد الرحمن.(١٤٢٦هـ). أصول التربية الإسلامية وأساليبها، سوريا: دار الفكر.

٥- هندي، محمد بن زيلعي. (١٤٣٠هـ). مفهوم التدبر في ضوء الدراسة التحليلية لآياته في القرآن. جامعة أم القرى. معهد البحوث العلمية وإحياء التراث.

٦- يالجن، مقداد. (١٤١٩هـ). مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية. الرياض: دار عالم الكتب.

رابعاً: الرسائل العلمية:

١- الغامدي، عبد الوهاب بن محمد بن عبد العزيز. المصطلحات والأصول النحوية في كتاب إيضاح الوقف والابتداء في القران الكريم لأبي بكر الأنباري وعلاقتهما بمدرسي الكوفة والبصرة. (ماجستير غير منشورة). كلية اللغة العربية. قسم النحو والصرف. جامعة أم القرى.

٢- الحارثي، فهد بن محمد. (١٤٢٨هـ). مهارات الاتصال اللغوي في القرآن الكريم. (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية التربية. قسم التربية الإسلامية والمقارنة. جامعة أم القرى.

٣- المرعشلي، يوسف عبد الرحمن. (١٤٠٧هـ). ط٢. المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله العزيز للإمام المقرئ أبي عمرو وعثمان الداني الأندلسي. (رسالة دكتوراه منشورة). بيروت: مؤسسة الرسالة.